مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة



دراسات قرآنية لغوية

تأليف : د. زهير غازي زاهد

القياس: ٢١,٥ x ١٤,٥ عدد الصفحات: ٢٣٨

دراسات قرآنية لغوية

ÏÊÉ©¸ ÏËÀDh

dÄ@i ÍiA¨ Äi -c

1

الطبعة الأولى
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مـن أهداف مركز عين:

مركـز "عـين" للدراسـات الفكريـة المعاصـرة، يعنـى بتفـاعلات الواقـع الإسـلامي، ويحـاول أن يؤصـل للحلـول والمقترحات تجاه مشكلات الإنسان المعاصر..

كمـا وينطلـق مـن رؤيـة راسـخة بقابليـة الحضـارة الإسـلامية علـى قيـادة الحيـاة وتقـديم نمـوج يتناسـب مـع احتياجـات العصـر مـن غيـر أن ينقطـع عـن أصـوله ومنطلقاته وثوابته..

يسـعى المركـز ضـمن بـرامج بحثيـة وهمـوم ثقافيـة ودورات لكتابـة البحـوث وتصـديرها، لتعزيـز الـوعي الاجتمـاعي بقضـايا الثقافـة والأفكـار ومناقشـة مطـاريح التخلف والتسيد لقيم غير أصيلة في المجتمع..

لـيس مـن أهـداف المركـز أو مطاريحـه الاعتنـاء بالتبشـير الطـائفي، ويـؤمن أن مـا يحـدث اليـوم هـو طائفيـة سياسـية تسـعى لتجييـر كـل الـدين والإنسـان في أتـون معركـة مصـالح دنيئـة.. ولا نمـانع مـن دراسـات تنطلـق مـن التسـامح في التعـايش والإيمـان بمشـتركات الإنسـان دون إلغـاء الآخـر مـع الاحتفـاظ بالرصـانة العلميـة وشروطها..

كمـا يـؤمن المركـز أن الحلـول الإسـلامية تنطلـق مـن جـذورها المناسـبة، ولهـذا فهـي تحـاول التأسـيس مـن منطلقـات اسـلامية خالصـة، بعيـداً عـن كـل التحيـزات المحيطة..

مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة

مقدمة

هذا كتاب قوامه محاضرات القيتها على طالبات الدراسات العليا (الدكتوراه) في كلية التربية للبنات –جامعة الكوفة – ٢٠١٦/٢٠١٧م تناولت في بابها الأول قضايا قرآنية كثر فيها الحوار والخلاف لدى المؤلفين والدارسين وكذلك قضايا تداولها الدارسون حديثا كثر فيها الخلاف أيضا بين المتأثرين بالحداثة الغربية ودراساتها والدارسين الملتزمين بالقناعات الثابتة لديهم فوقفت فيها موقفا موضوعيا أقبل فيه التجديد في مناهج الدرس القرآني وفهمه ولا أفرط بالفتات التي لها صبغة الاعتقاد لدى الدارسين الملتزمين، فتطور المناهج وتطور الحياة الفكرية يفرض نفسه سواء اقتنع به التقليديون ام تأخر اقتناعهم فالحياة بعامة متطورة ولابد من اهتزاز الثوابت بهذا التطور المنهجي العلمي فالخلاف في الوحي ولغة القرآن الكريم كان منذ القرن الثالث بين المعتزلة والاشاعرة، فالخلاف في الآراء وارد ودليل على التحرك وعدم الخمول ولكن التعصب للرأي هو الممقوت الذي ينبغي للدارس الواعي أن لا يتصف به، فرأيي صواب قد يحتمل الخطأ ورأيك خطأ قد يحتمل الصواب كما ذهب الامام الشافعي.

وأما الباب الثاني فهو في قضايا لغوية هامة ورؤية في سلامة العربية وما تقتضيه سلامتها من جهود اللغويين، وكان اهتمام شيخنا العلامة مصطفى جواد واسعا في العربية وسلامتها في بحوثه ومحاضراته وأحاديثه، فمن حقه علينا أن نقدم قراءة في تراثه، وذلك حق الوفاء لعلمائنا الكبار واياه نعبد واياه نستعين

المؤلف

الباب الأول
قضايا قرآنية

تقديم

لقد أودع الله تعالى في هذا القرآن سر الخلود. فعلى الرغم من أنه مؤلف من الحروف العربية التي يتألف منها كلام العرب من الشعر والنثر نراه يختلف عنها في قضية مهمة هي نظمه وقراءته، واستمرار هذه القراءة في العصر الواحد، أو في العصور المختلفة أو لدى قارئ أو قراء في عصر واحد. نجد قارئه لا يمل قراءته كما ان العصور لا تمل قراءته. لقد قرأه المسلمون وقرأه غير المسلمين كل يقرؤه ويعي دلالاته ويستنبط منه دلالات.

إنه منبع لا ينضب ومعين لا ينتهي وأفق يمتد ويمتد ولا نهاية. لا أقول هذا الكلام إعجابا عاطفيا وإنما هو كذلك واقعا. فهذا الكتاب يُقْرأ منذ خمسة عشر قرنا، ويحلق في آفاقه وعوالمه العلماء والمؤلفون وما زال بكرا يستجيب لكل عصر ويجيب على كل سؤال.

القراءة من المصطلحات المعروفة في العربية، لكنها متعددة الدلالة، فهي بمعنى الجمع والضم كما في المعجم، وهي بمعنى التتبع لجزئيات الشيء، فقرأتُ الكتاب أي تتبعت كلماته نظرا ونطقا بها، وهي لدى قراء القرآن الكريم طريقة أدائه وفهمه.

واستعمل مصطلح القـراءة أيضـا فـي النقـد الأدبـي الحـديث، فهـو مصطلح دالّ على وعي الـنص المقـروء. والقـراءة فـي تقسـيم نقـاد كبار ثلاثة أقسام: القراءة المستهلكة وهي ما لا يقـف وراءهـا فكـر ولا نظر. والقراءة المفسّرة وهي التي تعيد معاني النص بصور لفظية أخرى لتوضيحه. والقراءة الإبداعية أو الخالقة وهـي أعلـى مراتـب القراءة إذ يكون قارئ النص هنا مبدعا نصا على الـنص فـي قراءتـه وإعادة تشكيله.

وتردد ايضا مصطلح تعدد القراءة في دراسـة الـنص، والـنص القابل لقراءات متعددة المستجيب للقراءة فـي عصـر واحـد أو فـي عصور مختلفة والذي تتولد منه في آفاق القارئ المعرفيـة دلالات إضافية بل عوالم من المعرفة، وُصِفَ هذا النص بالنص الخالد.

القـرآن الكـريم نـص خالـد فهـو متعـدد القـراءة بكـل فنونهـا وأنواعها، فقد جعلها الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) سبعة وأربعين نوعا، وزادها السيوطي في كتابـه (الاتقـان فـي علـوم القرآن) الى ثمانين نوعا.

كانت هذه الصورة من أسرار هذا النص الخالد لم يلتفت اليها بعناية كافية على كثرة الدراسات القرآنية وضروبها المختلفـة. لقـد كان القرآن الكـريم مصـدرا للعلـوم العربيـة والدينيـة. قـرئ قـراءة

نحوية في كتب إعراب القرآن ومشكله، وقرئ قراءة دلالية في كتب معاني القرآن ومجازه، وقرئ قراءة لغوية في كتب ((غريب القرآن)) ومعجم ألفاظه، ثم قرئ قراءة بيانية تفسيرية وتأويلية في كتب التفسير على اختلاف ضروبها ومناهجها.

لقد كان نصا معجزا أعجز فصحاء عصره وبلغاءه عن أن يجاروه أو يأتوا بمثله (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)) الأسراء، وقال تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)) البقرة.

واختلف الدارسون في وجوه إعجازه فمنهم من عزا الاعجاز الى الصرفة بأن الله تعالى صرف الهمم عن معارضته أو الإتيان بمثله. ذهب الى ذلك واصل بن عطاء(ت ١٨١هـ) وتلميذه ابراهيم النظام (ت ٢٣١هـ) وهو شيخ الجاحظ، ومنهم من عزا إعجازه الى بديع بيانه وتركيبه، وعلو عبارته وإحكام نظمه وتناسب آياته وتماسكها، وقد ردّ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) قول القائلين السابق بالصرفة بكتاب سماه "نظم القرآن" وكذا عبد الله بن أبي داود السجستاني(ت٣١٦هـ) وغيره؛ ومنهم من عزا إعجازه الى ما فيه من

أخبار ونبوءات عن الغيب في مستقبل الأمور فما فصّلت فيه الكتب التي تحدثت عن إعجاز القرآن وبيان أدلة إعجازه.

لقد صار هذا النص الالهي عالما تضم آفاقه عوالم متنوعة المعارف والعلوم والأفكار، فقارئه لا يمل قراءته على مر السنين والإعصار كما وصفه الإمام علي(عليه السلام): "لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد" (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١/٢٨٨)، وقال ابن قتيبة: "وقطع بعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حبل المتكلفين وجعله متلوا لا يمل على طول التلاوة ومسموعا لا تمجه الآذان وغضا لا يخلق على كثرة الترداد وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده"(تأويل مشكل القرآن ص١٠) فكلما قرأه العلماء اكتشفوا فيه عوالم معرفية لم تخطر لمن سبقهم على بال، لذا نجد مجال الكتابة والكشف يتجدد فيه على مر العصور، وسر خلوده أنه يستجيب لقراءة العصور المختلفة، فهو جديد يتجدد لا تنطبق عليه أحكام النصوص الأخرى شعرية كانت أم نثرية مهما بلغت من الجودة والسمو والتي أشار إليها ابن قتيبة في مقدمة "الشعر والشعراء" بأنّ كلّ قديم كان جديدا في عصره، وكل جديد يكون قديما بعد عصره.

لقد كان الخلاف في ماهيته منذ أول نزوله حين حار فرسان الفصاحة من العرب في ماهيته، فوصفوه بالشعر، والنبي بالشاعر في قولهم:(أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)) الصافات، ثم تراجعوا ووصفوه بالسحر(.....مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى .....(٣٦)) القصص، ثم انثنوا فالشعر والسحر كانا معروفين لديهم قبل الإسلام وحين وصف المشركون القرآن بالشعر قال الوليد بن المغيرة–وهو من ساداتهم–منكرا عليهم: "قد عرضتُ ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئا من ذلك (الصاحبي لابن فارس١٣–١٤) ومنهم من التقط آيات أو أجزاء آيات فرآها موافقة لأحد قوالب الشعر، ومنهم من نفي عنه الشعر نفيا قاطعا ووضع قاعدة للشعر تتمثل بالقصد. وجاء النفي في نصوصه كما في قوله:(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)) يس، وحار المحدثون والمعاصرون في وصف هذا النص الخالد، وكثر الجدل حينا في قضية ما إذا كان القرآن شعرا أو نثرا، ومن أي أنواع النثر إن كان نثرا حتى ذهب بعضهم الى أنه قرآن لا هو شعر ولا نثر، وهو ما جاء في الآية السابقة، وتظل كلمة الأمام علي(عليه السلام) نافذة تختزل الدهور في وعيها إذ قال لابن عباس حيث بعثه الى الخوارج: "لا تخاصمهم

بالقرآن، فإن القرآن حمَال ذو وجوه، تقول ويقولون" (شرح نهج البلاغة لمحمد عبدة٥٦٣). تلك الوجوه هي قبوله القراءة والتأويل. فهو لا ينغلق على قراءة محدودة ليستهلك في مرحلة مهما طالت، وتلك خصائص هذا النص الخالد، لتقرأه الأجيال المتعاقبة فتفهم فيه ما يواكب حياتها.

وسيبقى هذا النص مصدر حركة فكرية للأجيال المتعاقبة من المسلمين وغيرهم نصا مفتوحا يضم عوالم متجددة بتجدد العصور والأجيال، وبتطور العلوم ووسائل المعرفة وكل نظرات القارئين وأفكار المفكرين وتفاسير المفسرين تقبع في بعض حروفه، وكلها يشهد على خلوده، وتبقى الأقلام والأفكار تحوم حول سر هذا الخلود وكما ظلت الافكار والعقول تحوم حول سر ماهية الروح ولم تصل ولن تصل الى ذلك (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)) الأسراء.

يبقى هذا النص الخالد مجالا لأقلام الدارسين كما تبقى قراءته تشيع ألوان الطمأنينة والتأمل في النفس كما تشيع الفصاحة والدربة في ألسن قارئيه، فهذا النص الخالد يفتح الآفاق للعلماء وذوي المعرفة للتفكير والتأمل.

الفصل الأول

عربيــة القــرآن الكــريم

العربية قبل ظهور الاسلام:

اعتاد الدارسون أن يقسموا اللهجات العربية إلى لهجات شمال الجزيرة ولهجات جنوب الجزيرة العربية ، والعربية من اللغات التي كان منطلقها الجزيرة العربية ، وقد اشتملت ((على عناصر قديمة جدا من اللغات السامية الأصلية وهذا يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة في مهد اللغات السامية ...))[١] .

وأهم هذه العناصر الاعراب فقد احتفظت العربية به في حين فقدته الأخريات [٢] لكننا لا نملك من الوثائق ما نستطيع أن نتتبع تاريخ العربية وتكوين لهجات في العهود البعيدة ، لعدم توفر الأدلة العلمية من كتابات أو نقوش أو آثار خصوصاً اللهجات الشمالية ، وأمّا اللهجات الجنوبية فهي أوفر حظاً في مسائل معرفة ظواهر منها خصوصاً الحميرية وغيرها من لهجات جنوب الجزيرة.

كانت لهجات الشمال تنسب إلى الموطن أو القبيلة نفسها في العصر الذي قاربت فيه ظهور الاسلام، من ذلك ما وصف بلهجة

---

(١) تاريخ اللغات السامية ـ أ ـ ولفنسون ١٦٨ .

(٢) انظر التطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر ٥٤ .

الحجاز أو لهجة نجد أو لهجة تميم أو طيئ أو قيس أو قريش ...وهكذا.

لقد رويت أقوال في هذا المجال نذكر أهمها، لنصل إلى ما يسمّى بالعربية الموحدة أو العربية المشتركة أو اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم .

قال أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) واصفا لغة حمير الجنوبية وعربية القرآن : ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا لغتهم بلغتنا))[١] .

وذكر ابن جني قائلاً : ((وبعد فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار))[٢].

وما يؤيد قول أبي عمرو أنّ أهل العربية الجنوبية كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن عربية القرآن الكريم بدليل النصوص الجاهلية التي عثر عليها هناك وهي بلسان مختلف عن

(١) الصاحبي ـ ابن فارس ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٦ يقصد بابني نزار مضر وربيعة . ونزار هو ابن معد بن عدنان (جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم)

عربيـة القـرآن إذ تبـيّن مـن دراسـتها وفحصـها أنهـا كتبـت بعربيـة تختلف عن عربية الشعر الجاهلي[1] .

وإذا نظرنـا فـي عربيـة الشـعر الجـاهلي وجـدناها لا تتجـاوز القـرنين والنصـف قبـل ظهـور الاسـلام. أمّـا مـا قبـل هـذا التـاريخ فالأخبار متفاوتة والأقوال المروية والمأخوذة من الكتب غير موثقة ، فمنها ما يرفع العربية إلى عهد اسماعيل بن ابراهيم . قال يونس بن حبيـب (ت١٨٢هــ) : ((أول مـن تكلـم بالعربيـة ونسـي لسـان أبيـه اسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما)) على اعتبار أن لغة ابراهيم كانت العبرية . ومنهم من روى أن اسماعيل أول من كتب بالعربيـة ولم يجاوزوا في النسب أولاد عدنان ، ولم يعرفـوا للأوائـل سـفراً ، وما روي لعاد وثمود من شعر فهو موضوع مختلـف ومع ذلـك لـم يصل إلـى الدارسـين مـا يثبـت مـن الأدلـة شـيء عـن عربيـة تلـك الأزمان[2] .

وذكر ابن فارس أن ولد إسماعيل وهم العدنانية يعيّـرون ولـد قحطان أنّهم ليسوا عرباً ويحتجـون علـيهم بـأنّ لسـانهم الحميريـة ، لكنه قال بعد ذلك : ((فليس اختلاف اللغات قدحاً فـي الأنسـاب))

---

(١) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. جواد علي ٨ / ٤٣٠ .

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام ١ / ٩ ـ ١١ .

ثم قال: ((ونحن وإنْ كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات فلسنا ننكر أن تكون لكل قوم لغة مع أنّ قحطان تذكر أنّهم العرب العاربة وأنّ من سواهم العرب المتعرّبة وانّ إسماعيل عليه السلام بلسانهم نطق ومن لغتهم أخذوا وانما كانت لغة أبيه صلى الله عليه وسلم العبرية))[1] .

وقال الطبري: ((كان العرب وإن جمع جميعها أنّهم عرب فهم مختلفو الألسن بالبيان متباينو المنطق والكلام . وإن ألسنتهم كانت كثيرة كثرة تعجز عن احصائها))[2] .

يمكننا أن نقول أن عربية شمال الجزيرة ولهجاتها تختلف عن عربية الجنوب حمير وما جاورها.

إنّ لهجات الشمال لم يصل إلينا منها من نقوش أو وثائق سوى أشلاء لا يمكن أن نقيم عليها حكماً علمياً أو نتخذ رأياً في صورها مثل نقش (حرّان) الذي يعود تاريخه إلى (٥٦٨) للميلاد ، ونقش (زَبَد) الذي يعود إلى سنة (٥١٢) للميلاد ، ونقش النمارة (٣٢٨) للميلاد . فكتابة حرّان التي هي أقرب النصوص إلى عربية القرآن، ويلاحظ أنّها استعملت أداة التعريف (ال) كما تستعملها

(١) الصاحبي ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ٩ ـ ١٥ .

العربية وكذا نص النمارة . وهي في بيئة يسكنها النبط ((وهم من العرب الشماليين فقد استعملوا أداتين للتعريف هما: حرف الألف الممدودة في آخر الاسم مثل (ملكا) بمعنى الملك و (مسجدا) بمعنى المسجد . وأداة أخرى هي (ال) التي نستعملها في عربيتنا. وفي استعمال النبط لأداتين للتعريف دلالة على تأثرهم بالآراميين وبالعرب المتكلمين باللغة العربية المستعملين أداة التعريف (ال).

والنبطية نفسها لغة وسط جمعت بين الآرامية والعربية ، وذلك بسبب اختلاط النبط بالآراميين وتأثرهم بثقافتهم واحتكاكهم بالأعراب ، وكونهم عرباً في الأصل))(١) .

والنبط المقصودون هنا هم غير ما قصده الأخباريون الذين هم بقايا الشعوب القديمة النازلين في البطائح منهم، ومنهم مترسبات الآراميين في العراق والشام وذلك قبيل الاسلام وفي الاسلام وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية : ((أمّا النبط المقصودون هنا فهم أصحاب مملكة النبط مملكة عربية لم يعرف الأخباريون من أمرها شيئاً ونشأت دولتهم قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، وكان ميناء غزة ميناء

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ / ٥١٨ وانظر تاريخ اللغات السامية والفنسون ١٨٩ ـ ١٩٤ .

النبط المفضل على البحر الأبيض المتوسط ((فالنبط عرب بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الاسلام من العرب الذين يعرفون بـ(العرب الجنوبيين) والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ...وخط النبط قريب جدا من خط كتبة الوحي ...وإنّ قلمنا هذا مأخوذ من قلم النبط))[1] .

فهؤلاء العرب الذين سكنوا جزيرة العرب وعرب العراق في الحيرة والأنبار ثم عرب بلاد الشام كانت عربيتهم على اختلاف لهجاتها متقاربة في دائرتها العامة ما عدا خلافات في أداء بعض

(١) المفصل في تاريخ العرب ٣ / ١١ ، ١٢ وقد ورد ذكر النبط في خبر مرفوع إلى ابن عباس : (نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ريًّا قيل ان ابراهيم الخليل ولد بها . وكان النبط سكانها وهذه التي في أرض بابل في العراق وبها مشهد ابراهيم الخليل وبها طرح ابراهيم الخليل في النار وهناك موضع آخر بمكة يدعى "كوثى" ايضاً وهو منزل بني عبد الدار خاصة. وروي عن عبيدة السلمانيقوله: "سمعت (الإمام) علياً يقول: من كان سائلاً عن نسبنا فاننا نبط من كوثى" ويرجّح أنه أراد كوثى التي ولد بها ابراهيم الخليل وأراد أن أبانا ابراهيم عليه السلام كان من نبط كوثى وأن نسبنا ينتهي اليه.

وهذا من الإمام علي وابن عباس تبرؤ من الفخر بالأنساب وتحقيق لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (معجم البلدان ٤/٤٨٧، ٤٨٨، اللسان نبط.

الأصوات أو بعض الصيغ الصرفية أو حركات الاعراب لكنها جميعاً تلتزم بحرف التعريف (ال)[1].

أمّا عربية جنوب الجزيرة ولهجاتها الحميرية والسبئية والقتبانية والحضرمية وغيرها فقد أسعفت الدارسين بالمساند والكتابات بحيث استطاعوا أن يتبينوا كثيراً من ظواهرها وفروقها عن عربية القرآن الكريم والشعر الجاهلي لكن حروفها تسعة وعشرون حرفاً وهي تكتب من اليمين إلى اليسار.

من فروق لهجات الجنوبية مثلاً أن أداة التعريف في الحضرمية الحاق الهاء والنون بالأسماء أو الـ(هـ) و (ها) في الثمودية واللحيانية والصفوية في اللهجة العربية الشمالية الغربية، والنون من آخر الكلمة في اللهجات الأخرى لتعريف الاسم[2].

وهناك قواعد وظواهر صوتية وصرفية ونحوية فيها بعد عن ظواهر عربية الشمال ولهجاتها[3].

إنّ الذين كانوا يتكلمون بالعربية التي نزل بها القرآن الكريم ودون بها الشعر الجاهلي هم عرب الحجاز وجزيرة العرب وعرب

---

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب ٨ / ٥١٩.

(٢) انظر قواعد العربية الجنوبية – بيستون – ترجمة د. خالد اسماعيل ١٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك المصدر السابق ١٣ ـ ٣٢، تاريخ الغات السامية – ولفنسون.

العراق في الحيرة والأنبار وشواطئ الفرات وعرب البوادي وبلاد الشام، هذه هي العربية الأصيلة التي جمعت شمل اللهجات ، والعربية التي شاعت قبل الاسلام كما كانت العربية بعده ظلت إلى جانبها ظواهر لهجية محلية مختلفة صوتياً وصرفياً ونحوياً أحياناً كما ظلت المواطن البعيدة المنعزلة لهجات احتفظت بخصائصها البعيدة عن العربية وتناقلتها الأجيال ((كالذي نراه اليوم في مهرة والشحر وفي مواضع أخرى من العربية الجنوبية التي تتكلم بلهجات لا نفهمها عنهم هي من بقايا اللهجات الجاهلية))[1] لكن الفروق بين لهجات عربية الشمال لا توقف الفهم وانما كان العرب يتفاهمون فيما بينهم ويدركون المعاني ، فأهل مكة مثلاً كانوا يفهمون أهل الحيرة ويتفاهمون معهم بدليل التجارة القائمة قبل الاسلام بين أهل مكة والحجاز والشام واليمن ، ومن يمرّون بهم من القبائل في طريق ذهابهم وعودتهم ثم إنّ الوفود من العرب التي التقى بها الرسول صلوات الله عليه كانت تتكلم وتخطب ولم تكن شكوى من صعوبة فهم كلامهم اللهم إلا ما كان من أمر أهل العربية الجنوبية فقد كانوا يرطنون ، فقد جاء في كتاب رسول الله

(١) المفصل في تاريخ العرب ٨ / ٥١٩ .

صلوات الله عليه إلى عياش بن أبي ربيعة المخزومي حين أرسله برسالة إلى أبناء عبد كلال الحميري قال له فيها : ((وهم قارئون عليك فإذا رطنوا فقلْ ترجموا)) وربما كان منهم من لا يفهم عربية المسلمين فكان يترجم له من له علم بعربية القرآن والعربيات الجنوبية [١] .

من هنا ندرك كلام أبي عمرو بن العلاء في لسان حمير ، وقول ابن جني : ((فلسنا نشك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة نزار)) [٢] .

لكنّ جيش المسلمين حين ذهب من الحجاز إلى الحيرة وإلى الأنبار وإلى الشام لم يجد قادته صعوبة في التفاهم مع العرب الساكنين هناك سوى بعض الألفاظ وبعض الظواهر اللهجية ولكن التفاهم والفهم كان قائماً ويسيراً ((وكانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض وكلّ يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات)) [٣] .

---

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ١ / ٢٨٢ ، ط دار صادر ١٩٨٥ ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٢) الخصائص ١ / ٣٩٢ .

(٣) المزهر ١ / ٢٦١ .

إنّ هذه اللغة الموحدة المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم وروي بها الشعر الجاهلي كيف اتسعت وكيف التأمت فيها اللهجات المختلفة حتى وصلت إلى عهد الرسول ؟

واقع العربية قبل الاسلام:

كانت قبائل العرب في العصر الجاهلي كل منها يعتز بلهجته ويتكلم بها حتى شاع لدى علماء اللغة اصطلاح السليقة اللغوية والعربي يؤدي ما يريده بلهجته وهي لهجة قومه .

ولقد مر بنا أنّ عربية جنوب الجزيرة كانت لهجات أيضاً يتكلمونها ويدونون بها ، ((ولما قضى السبئيون على استقلال حكومات معين وحضرموت وقتبان وأوسان وتكونت حكومة واحدة ضعفت الخصائص اللغوية التي ميّزت لهجات هذه القبائل واندمجت تدريجياً بلغة السبئيين التي صارت لغة الحكومة وصار العرب الجنوبيون يكتبون بها إلى ظهور الاسلام، فهذه هي اللغة الفصحى عندهم وقلمها المسند))[1] .

أمّا قبائل عرب الشمال فقد سلكت لغاتها أو لهجاتها بمصطلح اليوم ما تسلكه اللغات من قوانين التاريخ في تطورها . فالخلاف

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ / ٥٢٤ وانظر (الساميون ولغاتهم ـ د. حسن ظاظا ١٣٢ وما بعدها .

بين لغة الحجاز وتميم وقيس وأسد وهذيل وكنانة وغيرها خلاف في اطار واحد هي مجموعة قبائل مضر ، وكان بينهم اتصال وثيق قبل الاسلام، وما يذكر من خلافات لغوية بين لهجات الشمال لم تكن تمتد لنظام اللغة ، وانما كان في نطاق بعض الحروف وصيغ الكلمات وخلاف في حركات وقد ذكر اللغويون ورواة القراءات الكثير منها في كتبهم [١] .

وان جملة من الأخبار المروية التي تذكر الخلافات تتضارب أحياناً . فما روي من وصفهم لغة هذيل بالفحفحة وهي تقرأ الحاء عيناً كما رويت قراءة ابن مسعود (ليسجننه حتى حين) [٣٥ ـ يوسف] قرأها (عتّى حين)[٢] . وردت روايات تذكر العكس ورد أنّ ابن مسعود قرأ (بحثر ما في القبور)٩ ـ العاديات بدلاً من (بعثر)[٣] وهذه تخالف السابقة .

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب اللهجات العربية في القراءات القرآنية ـ د. عبده الراجحي .

(٢) مختصر في شواذ القراءات ٦٣ .

(٣) السابق ١٧٨ .

وهناك روايات تفيد أنّ أسداً وتميماً استعملوا حرف الحاء في موضع العين فقالوا (محهم) بدلاً من (معهم) وقرأ يحيى بن وثاب (ألم أحهد) ٦٠ ـ يوسف بدلاً من (أعهد) وهي لغة تميم [(١)] .

فالظواهر والخلافات اللهجية لم تدرس دراسة علمية في عصر ما قبل الاسلام لذلك كثرت الأخبار والتكهنات والأحكام فيها من غير دقة .

إنّ مجموعات القبائل لم تكن في معزل عن بعضها فقد تكونت ممالك لها سيطرة وتأثير في التطور اللغوي وتداخل اللهجات مثل مملكة الحيرة ومملكة كندة ومملكة الغساسنة .

وقد كان للحروب الطويلة بين الممالك أو بين الكتل القبلية وما يكون بعدها من أحلاف أثر في الاختلاط والتداخل بين اللهجات ، فبعد الحرب الطويلة بين كندة وحضرموت التي كادت تفنيهم افترق أهل اليمن وانتشروا في البلاد ملك كل قوم عظيمهم فصارت كندة اليمنية إلى أرض معدّ فجاورتهم ثم ملّكوا رجلاً منهم يقال له ((مُرتِعُ معاوية بن ثور)) ثم ملك حَجر بن عمرو آكل المرار ، وهو الذي حالف بين كندة وربيعة [(٢)] .

---

(١) انظر مختصر ابن خالويه ١٢٥ ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ / ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ١ / ١٨٥ .

ولما عظم أمر عبد مناف بن قصي جاءته خزاعة وبنو الحارث من كنانة يسألونه الحلف ليعزّوا فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش[1].

وللتجارة والاقتصاد كان أثر عظيم في التطور اللغوي وتداخل اللهجات وتوحدها ، فكانت القوافل ترتحل من مكة إلى اليمن ، فكان هذا الاتصال بين عرب الشمال واليمن في زمن مبكر فمكة كانت أهم موطن الحضر في شمال الجزيرة وموقعها في منتصف الطريق بين الشام واليمن وفي وسط الطريق التجارية المارة بتهامة والحجاز ، وكانت الطريق الامنة من الصراع آنذاك بين الفرس والروم [2] وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن ذكرها القرآن الكريم ، وكانت صلة اليمنيين بالمكيين قوية إذ يرونهم أبناء عمومة ويرون البيت الحرام جديراً بالتقديس ، وكان تبّع أول من كسا البيت الحرام [3] من تبابعة اليمن . ولما آل أمر التجارة إلى المكيين بعد ضعف السلطة في اليمن خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن وعقد مع أشرافهم معاهدة تجارة وأخذ (الايلاف) أي أمان الطريق

(١) السابق ٢٠٦ .

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ / ٥ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٤ ، ٢٥ ، والمفصل في تاريخ العرب ٣ / ٢٥٢ .

من أشراف العرب كلّما مرّ يجيّ من أحيائهم وكذلك قام أخوته هاشم كان يؤالف الروم فأمن في تجارته إلى الشام ، وعبد شمس تجارته مع الحبشة ونوفل كانت تجارته مع فارس ، وكل واحد منهم أخذ الايلاف من سادات القبائل فبفضل هذه العقود مع سادات العرب أمكن مرور قوافل مكة بأمن وسلام نحو العراق وبلاد الشام واليمن والحبشة (١).

كانت رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ثم رحلة الصيف إلى الشام، رحلتان تقوم بهما قريش على قوافل كبيرة ((كانت الواحدة منها تتالف من أكثر من ألف بعير والتي يساهم بها كل من شاء له مال من أهل مكة)) وتسمى العير التي تحمل التجارة أحياناً اللطيمة. وكانت قريش لا يخرجون عيرا إلاّ من دار الندوة)) فكأنّها كانت منطلق التجار والتجارة ، وهي ندوة مكة ودار الرأي والحكم في هذه المدينة ومجلس المال فيها (٢).

وقد كان للأسواق التجارية والأندية ما كان منها في خارج الجزيرة أو داخلها الأثر الكبير في تداخل اللهجات .

---

(١) انظر ذيل الأمالي ٢٠١ ، المفصل في تاريخ العرب ٧ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب ٥ / ٢٤٢ وقد مات هاشم بن عبد مناف جد النبي حيث كان في تجارة إلى الشام فأدركته منيته في (غزّة) وبها قبره فقيل غزة هاشم .

وأشهر أسواق العرب [1] سوق عدن ، سوق مكة ، نجران ، ذو المجاز ، عكاظ ، دومة الجندل ، بدر ، مجنّة ، منى ، حجر ، اليمامة ، هجر البحرين ، وهناك أسواق محلية غيرها أو موسمية على اختلاف الأزمان مثل سوق حضرموت وسوق عمان وسوق المشعر وسوق صنعاء وسوق حباشة وسوق صحار وسوق قينقاع وسوق الشحر وغيرها من الأسواق المحلية التي كان الناس يرتادونها من مختلف القبائل والأوطان .

ولا تقتصر هذه الأسواق خصوصاً الكبيرة منها على البيع والشراء والمعاملات وانما كانت تقام فيها المواسم والمناسبات الأدبية ، فكان شعراء القبائل يتبادرون فيها في عرض مفاخر أقوامهم وصفاتهم في الكرم والشجاعة والنجدة وحفظ الجوار ، وتتطور منها لغة أدبية يفهمها من كان يحضر الأسواق وهم من مختلف الأقوام من جنوب الجزيرة وشمالها ووسطها .

والذي يستعرض شعراء القبائل المختلفة التي ذكرتها كتب الأدب والتاريخ يجد الشعراء في مختلف العصور والأماكن يلقون شعرهم على السامعين ولم نجد في لغة الشعر خلافاً إلا ما كان من

(١) انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ٢٩٦ ... ، المفصل في تاريخ العرب ٧ / ٢٨١ وما بعدها ـ ٢٩٦ .

لفظة محلية تذكر أو اسم يعرض . أما عامة الشعر فكان في لغة عربية لا تختص بها قبيلة انما العربية التي يفهمها القبائل من شمال الجزيرة حتى وسطها وجنوبها وكذا ما كان يلقى من خطب وأقوال[١] فمن الأسواق المشهورة :

(دومة الجندل) كانت في غائط من الأرض في مغربه عين تسقي ما به من النخل والزرع واسم حصنها (مارد) وهو حصن قديم ورد ذكره في الشعر الجاهلي، وقد بني من الجندل أي الصخر لم تكن هذه السوق للتجارة في موسم واحد معين بل كانت مفرقاً مهماً تقصده القوافل الذاهبة من جزيرة العرب إلى العراق وإلى الشام وبالعكس ، لما فيه من ماء عذب وما يحتاج إليه المسافر من زاد وهي اليوم منطقة الجوف في المملكة السعودية .

كان يشرف على هذا السوق سادات بني كلب أو من غسان كانوا يتنافسون عليها ، ويتزايدون ، وكان الأذى للإشراف على هذه السوق من الملك الذي يحكم الموضع في حينه [٢] .

(١) انظر مجموع الشعر الذي ورد في تاريخ اليعقوبي ١ / ٢٢٣ وما بعدها .

(٢) انظر التفصيل في المفصل في تاريخ العرب ٧ / ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، تاج العروس (الجندل) (دوم)

ومن أشهر أسواق العرب وأكبرها قبل الاسلام (سوق عكاظ) وهي سوق تجارة وسياسة وأدب ، وعكاظ بأعلى نجد وهو واد ونخل ، يختلف في تحديد موضعه ، وهو بين مكة والطائف ، وقد اتخذها العرب سوقاً قبل سنة ٥٠٠ للميلاد كانت تبدأ هلال ذي القعدة ، وهو من الأشهر الحرم وتستمر عشرين يوماً ، وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر ، وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم [1] .

كان أشراف العرب يحضرون الأسواق ليستوفوا ما يخصص لهم من الأرباح فكل شريف بلد يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فقد كانت حرة فالأشراف يتوافون بها من كل صوب . فهي تختلف عن باقي الأسواق التي كان يعشّرها الملوك إذا كانت في حكم ملك أو في حكم الأمراء وكان يشرف على هذه السوق أشراف تميم . كانوا ينظمونها ويحكمون بها ((لكنهم لا يجبون شيئاً من التجار ، ولعلّ ذلك في عكاظ كان بتأثير قريش واتفاقهم مع سادات تميم ولاسيما مع بني دارم على أن يتركوا السوق حرة ، فقد كان رجال مكة هم المستأثرون الأثيرون في عكاظ وكانوا

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ١ / ٢٣١ ، الحمالة بفتح الحاء : الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم . (اللسان (حمل)

يشجعون العرب على حضورها لما لهم فيها من منافع اقتصادية))[1] لقد اتفقوا مع سادات تميم لتكون السوق حرة ليحضرها أكثر قبائل العرب وتجارهم وهم آمنون في شهر حرام ، وليحضروا بعدها إلى مكة ، وليعقدوا معهم صلات يؤمنون بها على تجارتهم ومرورها بسلام ، فكانوا يقدمون كلّ ما تحتاج إليه القوافل من ماء وطعام وحماية .

ويذهب الناس بعد سوق عكاظ إلى (سوق مجنة) بأسفل مكة فيقيمون فيه عشرة أيام فإذا رأوا هلال ذي الحجة قصدوا (ذا المجاز) وهي سوق جاهلية فيقيمون فيها ثمانية أيام يبيعون ويشترون ثم يخرجون في يوم التروية من ذي المجاز إلى عرفة فيتزودون من الماء بما يرويهم ، وقد سمي هذا اليوم بيوم التروية حيث يتنادون بالتزود من الماء بذي المجاز لعدم وجوده بعرفة ولا بالمزدلفة ، وبعد يوم التروية نهاية أسواقهم[2].

كان الحج من أكبر مواسم قريش لبيع ما عندها للقادمين إليها من البادية ولمن يأتي من القرى البعيدة عن مكة كما تشتري منهم

(١) المفصل في تاريخ العرب ٧ / ٢٩١ .

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٥٨ ، ٥٩ ، المفصل في تاريخ العرب ٧ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

ما يحملونه من سلع ثم ينقلون ما ما يفيض لديهم إلى العراق والشام.

لقد كانت سوق عكاظ مجمعاً للعرب ، فكان شعراء القبائل يعرضون ما لديهم من شعر يتمدحون ويناظرون أمام وفود العرب وكانت تقام في مجالس للحكم في مختلف القضايا، والجمع الذي يحتشد في هذه السوق كان كل شيء يكون فيه يشتهر ويشيع بين قبائل العرب ، وقد تردد ذكر النابغة الذبياني فتضرب له قبة من أدم فيه يجتمع اليه الشعراء وينشدون اشعارهم وفخرهم ويقوم حكما بينهم يعتدون برأيه ، وروي أن الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء احتكموا لديه في هذا المكان كما كان الخطباء والعرافون يحضرون في هذه السوق ، وممن حضره من المعروفين الشاعر عمرو بن كلثوم(١) وقُسّ بن ساعدة الإيادي الذي رآه الرسول صلوات الله عليه يخطب فيه ، وكان الرسول يقصد سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز يدعو من يحضر الموسم الى دين الله وقيل مكث سبع سنين يتبع الناس في مواسمهم في سوق عكاظ وكان فيمن كلمهم ودعاهم الى الاسلام بنو عامر بن صعصعة (٢) .

---

(١)انظر الأغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٥٦/٩ ـ التقدم ـ

(٢) انظر البيان والتبيين ٥٢/١ ، المفصل في تاريخ العرب ٢٩٤/٧،٢٩٣ .

واذا اخذنا موجات هجرات القبائل في الجزيرة واليها عرفنا أهمية الاحتكاك والتجاور أو الحروب والأحلاف والتجارة آثار ذلك كله الاجتماعية واللغوية ايضا فحين ضعفت سلطة الحميريين في اليمن وساءت الاحوال الاقتصادية والسياسية هاجر عدد من القبائل الى شمال الجزيرة العربية كما مر ذكره فأقامت خزاعة في مكة والأوس والخزرج في المدينة وكندة في نجد والمناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام [١] فتداخلت حضارتهم ولهجاتهم مع العرب الشماليين وكان لذلك اثاره الكبيرة في اللغة .

لم يتم تداخل اللهجات هذا في وقت واحد انما كان متدرجا فاللهجة القوية السلطان تخفي الضعيفة وتقضي عليها ، ولن تبقى اثارها في اللهجة الجديد ، وهذه اللهجة الجديدة تتسع وتتفاعل في موجات الهجرات ولهجاتها وتتمازج عن طريق الاحتكاك فيسيطر الأقوى على الأضعف . وقد لاحظ الباحثون في التحول اللغوي الامتزاج اللهجي للعربية "أن لهجات الشمال كانت في العصور القريبة من ظهور الاسلام ذات سطان قوي ونفوذ واسع فكانت تبتلع اللهجات الجنوبية ابتلاعا الواحدة منها تلو الاخرى ،

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ٣٢٨ـ٣٣٠ .وانظر المفصل في تاريخ العرب ٣٠٦/٣..ومابعدها

فاللهجات التي أصبحت سائدة في أغلب أقاليم الجزيرة العربية قبيل ظهور الاسلام إنما هي الشمالية بعد أن التهمت أكثر اللهجات الجنوبية ..." [1]

بهذا نستطيع أن نحدد للعربية في عصرها قبل ظهور الاسلام ثلاثة مستويات :

المستوى الاول : العربية العامة الفصيحة . وهي التي كان العربي يتكلم بها على سجيته وقد وصفها ابن هشام في قوله : " كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ومن هنا كثرت لروايات في بعض الابيات" [2]

فالعربية التي تكلمت بها قبائل شرق الجزيرة وغربها ووسطها لم تختلف عن عربية القبائل التي تتكلم بها في العراق والحيرة والانبار حتى نصل الى الشام ، فالجيوش الاسلامية التي وصلت الى الحيرة والأنبار وجدوا اهلها عرباً ، فلما سأل قائد الجيش أهل الأنبار بعد دخولها "إذ رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمون نها ، سألهم ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب نزلنا الى قوم من العرب قبلنا " [3] ولم

(١) تاريخ اللغات السامية ولفنسون ١٦٧.

(٢) المزهر للسيوطي ٢٦٠/١.

(٣) تاريخ الطبري ٣٧٥/٣ .

يصعب على العرب الفاتحين أن يتفاهموا مع أهل مدن العراق والشام مملكة الغساسنة ، وكما في الطريق اليها من المحطات القبلية التي كانت قريش تمر بها قوافلها التجارية من مكة وكذا من مكة الى اليمن . وقد يكون على ألسن الناطقين بها جملة ظواهر لغوية كما كان بين لهجة الحجاز وتميم وهذيل وأسد وكلها في دائره مضر كما كان الخلاف في نطق الحروف والصيغ وحركات الاعراب ماجعله ابن جني " في باب تركب اللغات وتداخلها"

نعم لقد كانت لهجات القبائل تتفاوت في فصاحتها ونقائها . فمن كان بعيدا عن الحواضر ولم يجاور الامم غير العربية احتفظت لغته بفصاحتها ونقائها غير من جاور الاعاجم ، لذلك اتجه اللغويون عند وضع قواعد للعربية لأخذ اللغة من عرب نجد وتهامة والحجاز مثل قيس وتميم واسد وطي وهذيل [١]

لم يبرأ هذا المستوى اللغوي مما سماه اللغويون باللغات المذمومة مثل كشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وعنعة تميم وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء هذه الظواهر التي قال ثعلب : ان قريشا ارتفعت عنها في الفصاحة [٢] .

(١) كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي ١٤٧ .

(٢) انظر الخصائص ٢/١٠-١١ "باب اختلاف اللهجات وكلها حجة "

المستوى الثاني : هو المستوى الأدبي وهو مستوى العربية الفني الذي يؤدي اللغة باسلوب يرتفع عن الكلام العادي ، فهذا المستوى يمتاز بفنيته وهو ما جاءت به اساليب الشعراء والخطباء والكهنة من اساليب، هذا المستوى يختلف باختلاف قدرة الشعراء على التصرف باللغة والابداع في استعمال اساليبها، ونجد ذلك في مستويات شعر الشعراء قبل الاسلام ، واختيار الحكماء مجموعة القصائد التي عدوها من المستوى الفني العالي كالمعلقات والقصائد المختارة التي يفتخر بها شعراؤها ، وكان الشعر حكمة العرب وديوانهم على قول ابن عباس ، لايختلف هذا المستوى في فصاحته ونظامه النحوي والصرفي عن المستوى الاول لكنه يختلف في اساليب تركيبه وارتفاع فصاحته عن الظواهر الضعيفة القليلة التي ذكرنا جملة منها ،فهو يبدع عبارات وصيغ فنية غير معروفة فتشيع عنه وتصبح في ضمن اللغة الفصيحة ، وقد يتحرر في بعض استعمالاته من القواعد الفنية العامة فالشعراء كما وصفهم الخليل "أمراء الكلام" فهذه الخلافات اطلق عليها النحويون بعد وضع قواعدهم بـ"الضرورات الشعرية"

بهذا المستوى من العربية نزل القرآن الكريم ، ولذلك عد أعلى فصاحة وبلاغة ففيه من بعض خصائص الشعر كالفواصل

والايقاع المتوازن ولكنه ليس بشعر، وفيه بعض خصائص النثر الفني كالسجع والتوازي ولكنه ليس متكلفا ولا هو بسجع الكهان الغامض المتكلف . إن فيه كل فنون العرب واساليبهم العالية التركيب .

المستوى الثالث : هذا المستوى عربية مختلطة لدى الاقوام الذين "كانوا في اطرف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد السنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين واهل الشام وأهل مصر"[١] مثل لخم وحذام لمجاورتهم القبط وقضاعة وغسان واياد لمجاورتهم نصارى اهل الشام ، وتغلب والنمر لمجاورتهم اليونان ... [٢] وفي هذا القول تعميم لأن هذه القبائل العربية لم تفقد فصاحة المستوى الأول الذي ذكرناه إلا من كان منهم قد فسدت لغته من أهل الحواضر أو من كان مخالطا الأعاجم .

---

(١) كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي ١٤٧.

(٢) المزهر ٢١٢/١ .

هل عربية القرآن هي عربية قريش؟

إن عربية الحجاز ومنها قريش هي عربية تميم وهي عربية نجد ومن كان في جنوب الجزيرة وشمالها من القبائل كما ذكرت المستوى الأول هو العربية العامة بأنظمتها اللغوية مع وجود ظواهر لهجية صوتية أو في بعض الصيغ أو حركات الاعراب ، لكنها جميعا عربية كان التفاهم جاريا بها على أزمان بعيدة ، وقد تداخلت واختفت جملة من الظواهر عبر أزمان تطورها ، وقد سادت عربية مفهومة لدى القبائل والبيئات اللغوية ومنها قريش ، وكانت قريش لاتميل الى الحروب وكان منها سادة مكة وأشرافها وكانت سيطرتها عن طريق التجارة والاقتصاد جعلت أغنى العرب عند ظهور الاسلام ، وصارت مكة مركزا خطيرا من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب [١] .

لقد مالت قريش الى الاستقرار والاهتمام بالبيت المقدس والتجارة وابتعدوا عن الغزو والفتن فكسبوا مودة أهل الوبر والحضر واجتذبوا الناس بتقديم الخدمات أيام الحج ، فصلاتهم الحسنة والواسعة نّمت لديهم ثقافة عامة وثقافة لغوية ايضا بمعرفة مختلف لهجات القبائل التي يمرون بها من مكة الى الشام ومن مكة الى

(١) انظر ذيل الامالي والنوادر ،لأبي علي القالي ٢٠١ .

اليمن ، وكأن لهجات العرب صارت تتركز حول دائرة توسطتها لهجة قريش والى جانبها تميم وقيس وأسد وهذيل وكنانة وسعد بن بكر وهوازن فهذه كلها مجموعة مضر سكان الحجاز ونجد وتهامة ، ومنهم قد أخذ اللغويون العربية عند وضعهم القواعد كما أخذوا من الطائيين وطي يمانية . واهل مكة وقريش كان بينهم وبين تميم اتصال وثيق قبل الاسلام وكانت بينهم مصاهرة ، وقد عرفت تميم بالفصاحة وكثرة الشعراء والخطباء ، وقد مر بنا حكومتهم في سوق عكاظ ، ولو قارنا تميما بقريش رجحت تميم بسعة اللغة والفصاحة ولنقض القول بأن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة المروي عن ثعلب وابن فارس [1]

نعم كانت فروق بين لهجة أهل الوبر وبين لغة أهل الحضر ، كظاهرة تحقيق الهمز عند تميم البدوية وتخفيفها لدى الحجاز الحضرية ، ولكن تبقى الفصاحة لدى أهل الوبر أعلى ، لذلك نجد تميماً واسعة في العربية عالية الفصاحة.

وعربية الحجاز ومنها قريش ، وتميم ومن ذكرت قبل قليل كلها في دائرة مضر ولم تخل لهجة قريش من النقد ، فقيل أن فيها

(١) انظر مجالس ثعلب القسم الأول ٨٠،٨١، الصاحبي ٣٣ .

"غمغمة"[١] وهي من اللغات الرديئة عند علماء العربية ، وكان أهل مكة يبعثون صبيانهم إلى مواطن الفصاحة ليمرنوا عليها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام استرضعته حليمة السعدية من بني سعد بن بكر [٢] وقد جاء في قوله عليه الصلاة والسلام :"أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واني نشأت في بني سعد بن بكر"[٣] فقوله هذا ينبئ عن فصاحته ويثني على قريش وليس معناه يجعل قريشا أفصح العرب ، وبنو سعد ليس من قريش ، ومعنى "بيد أن" هنا غير أن ، لا كما فسرت بمعنى "لأجل" [٤]

لقد اختلف القدماء والمحدثون في اللسان الذي نزل به القرآن الكريم أهو لسان قريش أم اللسان العربي بقبائلها ولهجاتها؟

فمنهم من ذهب الى أنه نزل بلسان قريش وحجتهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة ومكة موطن قريش فلا بد

(١) انظر تاج العروس (غمم)

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم ٢٦٥.

(٣) الصاحبي ٤١ .

(٤) انظر اللهجات العربية في القرآت القرآنية ، عبده الراجحي ٤٣ .

من نزوله بلسانهم ليكون حجة عليهم واعجازا لفصائحهم "وأن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة"[1]

فذهب الرافعي من المحدثين بأن لغة قريش مرت بأدوار في تهذيبها واعتبر مبدأ نهضتها لا يتجاوز المئة الى المئة والخمسين قبل الهجرة "فلا بد من التسليم بأنها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي ظهرت نتيجتها بعد ذلك في نزول القرآن الكريم بلغة قريش "[2]

وذهب الدكتور طه حسين الى هذه النتيجة بان القرآن الكريم نزل بلسان قريش ولكن بتفسير سياسي اقتصادي كان لقريش، ففرضت لغتها فرضا على العرب (في الأدب الجاهلي٩٤، ١٠٤-١٠٥).

والقدماء منهم من قال بنزوله بلسان مضر أو قسم من القبائل مع قريش معتمدا أقوال بعض الصحابة ومنهم من قال انه نزل وفيه

(١) الصاحبي ٣٣.

(٢) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ١ / ٨٢ـ٨٤ (القاهرة ١٩١١).

أربعون لغة عربية منها قريش [١] كل ذلك في تأويل الحديث "نـزل القرآن على سبعة أحرف" .

إن القرآن الكريم نزل على رسول الله الى النـاس كافـة وفـي البداية في مكة باللغة الأدبية التي شاعت قبل ظهور الاسلام فنظموا بها شعرهم وبها خطبهم وأمثالهم .

نحن لم نقرأ رواية تشكو من لغة النابغة الـذبياني وهـو ينتقـل من مملكة الحيرة الى مملكة الغساسنة فـي الشـام التـي أصـلها مـن اليمن ولغته كلغة زهير بن أبي سلمى وهو من اليمامة وهي معدودة في نجد ولا شكا أحد من شعر الأعشى وكان يجوب الجزيرة يغنيه ويمدح به الملوك وكذا شعر حسان بن ثابت وهو خزرجـي وصـار شاعر الرسول عليه الصـلاة والسـلام وهـذه القصـائد المختـارة مـن عيون الشعر المسماة بالمعلقات لم يكن أحد شعرائها من قريش .

إن هذه اللغة الأدبية المشتركة تكونت عبر قرون من تـداخل اللهجات وتراكبها ، لكن الشفاهية التي كان عليها العرب لم تتـرك وثائق مكتوبة لتدرس دراسـة علميـة تتبـع تطـور هـذه اللغـة الفنيـة

(١) انظر الصاحبي ٤١ ، البرهان ٢٦٩/١ـ ٢٨٦ ، الاتقـان للسـيوطي ٢٨٧/١ ذكـر قـول أبي بكر الواسطي في كتابـه الارشـاد فـي القـراءات العشـر "فـي القـرآن مـن اللغـات خمسون لغة لغة قريش وهذيل وكنانة ..."

المشتركة وانما وصل الينا شعر وخطب وأمثال عن طريق الرواية الشفوية، لذلك نجد اختلاف الرواة والنصوص المروية ، والى جانب هذه اللغة المشتركة ظواهر لهجية لدى كل قبيلة يتداولونها في كلامهم وفي أسواقهم وبيوتهم .

إن أقرب الأقوال التي يمكن أن تكون أقرب إلى نتيجة البحث يقبله المنطق هو أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي، واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً يشمل حجازها ويمنها ونجدها وكل مكان من جزيرة العرب [1] وهو مايناسب بل يطابق صرح به القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً بدلاً من أن ندور حول تأويل ماروي من قوله ﷺ "أنزل القرآن على سبعة أحرف" وقد روي بروايات متعددة تحتاج الى نقد لأن فيها اخباراً ضعيفة ، وذهبت تأويلاته كل مذهب ولم تخرج بنتيجة [2] . فلنتوجّه إلى كتاب الله ونقرأ ما قال فيه :

(١) انظر أيضاً اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٤٨،٤٩ .

(٢) انظر مقدمة تفسير الطبري ،البرهان ٢٧٦،٢٧٧/١ ، الاتقان للسيوطي ١٠٠/١ ـ١٠٦،٢٨٣ .مناهل العرفان ١١٦ـ١٥٢ .اللهجات العربية في التراث ـ أحمد علم الجندي القسم الأول ١٠٥ـ١٠٨ .

١ـ قال تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء ١٩٣ـ١٩٥ .

٢- وقال : (وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) النحل ١٠٣ .

٣- وقال: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف ٢.

٤- وقال: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً) الرعد ٣٧ .

٥- وقال: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ) طه ١١٣ .

٦- وقال: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الزمر ٢٧ ،٢٨ .

٧- وقال: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فصلت ٣ .

٨- وقال: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً) الشورى ٧ .

٩- وقال: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الزخرف ٣ .

١٠- وقال: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ) فصلت ٤٤ .

١١- وقال: (ومِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) الاحقاف ١٢ .

١٢- وقال: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) النحل ١٠٣ .

١٣- وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) إبراهيم ٤ .

هذه الآيات دليل واضح على أن القرآن الكريم نزل بلسان العربية لغة العرب لا بلسان قبيلة معينة . ولقد ضيق ابن قتيبة الغاية في قوله :" لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)(١) فقوم الرسول هم العرب ومنهم قريش . والذي يقول : إن القرآن نزل بلسان قريش ليس له دليل سوى أن الرسول ﷺ من قريش . وهذا القول جرى على لسان أغلب الدارسين القدامى ومن تاثر بهم من المحدثين لكنهم تخالفوا بل

(١) سورة ابراهيم- آية ٤ وانظر البرهان ٢٧٧/١ وما بعدها، انظر الاحكام في أصول الاحكام ١٦٥/٤ ـ١٦٩ .

تناقضوا وتضاربت أقوالهم في محاولة تأكيده والاحتجاج له خصوصاً في تأويل حديث "الأحرف السبعة" [١]

والحق في قول ابن عربي في حديث الأحرف السبعة :"لم يأت في معنى هذه السبعة نص ولا أثر واختلف الناس في تعيينها"[٢] .

إن هذه الأحرف السبعة التي اختلفوا في تأويلها ـ بحسب الدكتور طه حسين ـ ليست "من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافرا ولا فاسقا ولا مغتمزا في دينه وانما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها ، وقد جادلوا فيها بالفعل وتماروا وخطأ بعضهم بعضاً "[٣]

---

(١) انظر الأقوال في تأويل الحديث "أنزل القرآن على سبعة أحرف ..." مقدمة تفسير الطبري البرهان للزركشي ١/٢٦٩ـ٢٨٧ ،النشر في القراءات العشر ١/١٩ـ٥١، التقان للسيوطي ١/١٠٠ـ١٠١ مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ،المبحث السادس ١٤٦ـ١٥٢ .

(٢) البرهان ٣/٢٧٠ .

(٣) في الادب الجاهلي ٩٥ .

واقرب الأقوال الى الحقيقة ما جاء عن ابن عباس : "ما أرسل الله جل وعز من نبي إلا بلسان قومه وبعث الله محمدا ﷺ بلسان العرب"[1] وهذا مطابق للآية المذكورة رقم (١٣) .

وهناك من ضعف حديث الأحرف السبعة لتناقض تأويلاته والاتساع في أخبار رواته . فبعد أن يرد تناقضات رواته وتأويلاته يقول :"وحاصل ما قدمناه : أن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع الى معنى صحيح ، فلا من طرح الروايات الدالة عليه ولاسيما بعد أن دلت أحاديث الصادقين[2] على تكذيبها، وأن القرآن إنما نزل على حرف واحد وان الاختلاف جاء من قبل الرواة "[3] .

واختتم البحث بقول الأزهري : "وجعل الله القرآن المنزل على النبي المرسل محمد ﷺ عربياً لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزل بلسانهم ، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغه

(١) الصاحبي ٤٣ .

(٢) يقصد الأمامين أبا جعفر الباقر وأبا عبد الله الصادق في قولهما : "إن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة " (ينظر أصول الكافي ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب النوادر ـ الرواية ١٢ والرواية ١٣ ، البيان في تفسير القرآن ، للسيد الإمام أبي القاسم الموسوي الخوئي ١٩١/١ ـ١٩٢ .

(٣) ينظر :البيان للامام أبي القاسم الخوئي ١٨٥/١ ـ٢٠٩ .

لسانهم لغة العرب في باديتها وقراها العربية وجعل النبي عربياً لأنه من صريح العرب "[1].

(١) اللسان (عرب)٤/٢٨٦٥ .

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧م.

٢. أصول الكافي – المحدث محمد بن يعقوب الكليني – دار الأسوة – ايران ١٤٢٤هـ

٣. الاغاني أبو الفرج الاصفهاني ط١ ساسي ـ التقدم

٤. البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين الزركشي ـ تقديم مصطفى عبد القادر ـ دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.

٥. البيان في تفسير القرآن ـ السيد ابو القاسم الخوئي ـ م العمال المركزية ـ بغداد ١٩٨٨م.

٦. البيان والتبيين ـ ابو عمرو الجاحظ تح: عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٠م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس – السيد مرتضى الزبيدي – القاهرة.

٨. تاريخ آداب اللغة العربية ـ مصطفى صادق الرافعي ـ القاهرة ١٩١١م.

٩. تاريخ الطبري ـ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ـط١ ـ دار لمعارف بمصر .

١٠. تاريخ اللغات السامية ـ أ . ولفنسون ـ دار العلم ـ بيروت ١٩٨٠م .

١١. تاريخ اليعقوبي ـ اخراج خليل المنصور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٢م.

١٢. التطور النحوي للغة العربية ـ برجستراسر- اخراج د. رمضان عبد التواب ـ مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٥ .

١٣. تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) القاهرة ١٩٠٣م.

١٤. جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الأندلسي ـ تح: عبد السلام هارون ـ دار المعارف بمصر.

١٥. الخصائص ـ ابن جني ـ تح: محمد علي النجار ـ م دار الكب المصرية ـ القاهرة ١٩٥٢م.

١٦. ذيل الامالي والنوادر ـ أبو علي القالي ـ ط٣ ـ بالقاهرة .

١٧. السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ تح:مصطفى السقا الأبياري شلبي ـ ط٢ـ شركة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٥م.

١٨. الصاحبي ـ ابن فارس ـ تح: السيد أحمد صقر ـ ط ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة

١٩. صفة جزيرة العرب الهمداني ـ تح:محمد بن علي الأكوع ـ دار الشؤن الثقافية العامة بغداد ١٩٨٩م.

٢٠. طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام ـ تح :محمود محمد شاكر ـ م المدني .

٢١. الطبقات الكبر ـ ابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٨٥م .

٢٢. في الأدب الجاهلي ـ طه حسين ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٢م.

٢٣. قواعد العربية الجنوبية ـ بيستون ـ ترجمة خالد اسماعيل ـ م المجمع العلمي العراقي ١٩٩٢م.

٢٤. كتاب الحروف ـ لأبي نصر الفارابي ـ تح : محسن مهدي ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٨٦م.

٢٥. لسان العرب ـ ابن منظور

٢٦. اللهجات العربية في التراث ـ أحمد علم الجندي ـ الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.

٢٧. اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي ـ دار المعرفة الامعية ـ الاسكندرية ١٩٩٦م.

٢٨. مجالس ثعلب ـ أحمد بن يحيى ثعلب ـ تح: عبد السلا هارون ـ دار المعارف بمصر .

٢٩. مختصر في شواذ القراءات ابن خالويه ـ عني بنشره ـ ج . برجستراسر ـ م الرحمانية ـ بمصر ١٩٣٤م .

٣٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها- جلال الدين السيوطي- تحـ محمد جاد المولى، علي البجاوي، أبو الفضل ابراهيم- دار الفكر (د. ت)

٣١. معجم البلدن- ياقوت الحموي- دار صادر- بيروت.

٣٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- الدكتور جواد علي- مكتبة جرير- ٢٠٠٦م.

٣٣. مناهل العرفان في علوم القرآن- الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاوي- دار الكتاب العربي- بيروت ٢٠٠٢م.

الفصل الثاني
النص القرآني بين المشافهة والكتابة[1]

تمهيد

ولد النبي محمد بن عبد الله ﷺ لاثني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة قبل أن يبعث بأربعين سنة ، وحملت به أمه آمنة بنت وهب في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى ، وولد في شعب أبي طالب .

كان الرسول ﷺ يعتزل للتعبد في غار حراء في جبل بمكة ، وقد أنزل القرآن عليه في ليلة القدر من شهر رمضان ، فشهر رمضان صرح به القرآن الكريم (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ...... (١٨٥)) البقرة.

وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) ....) القدر. أما الليلة التي نزل فيها ففي تعيينها أقوال ، فأقوى الروايات انها في العشر الأواخر منه، روى عن أبي جعفر الصادق عليه السلام انهما ليلتان احدى

(1) نشر البحث في العدد الخاص لمجلة العميد بميلاد الرسول ﷺ –العتبة العباسية كربلاء العدد ٦،٥ ٢٠١٣

وعشرون وثلاث وعشرون من رمضان وعن أبي ذر : أنـزل الفرقـان على محمد لاربع وعشرين مـن شـهر رمضـان[1]، وروي هـي سـبع عشرة من رمضان عن الحسن بـن علـي عليه السلام انـه قـال: كانـت ليلـة الفرقان يوم التقى الجمعان[2].

وكان اول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعـالى : (اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِـنْ عَلَـقٍ (٢)) الـى قولـه : (عَلَّـمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) وكان في غار حراء ، قال صلى الله عليه وآله فهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا[3].

بقي صلى الله عليه وآله بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ، ثلاث سنين منها كانت دعوته خفية ، لم يبادر قريشاً، وقد دخل الناس فـي الإسـلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا الاسـلام بمكـة [4]. وبعـد حـين

(١) ينظر تفسير الطبـري ١٠ / ١٤ ، الكشـاف للزمخشـري ٤ / ٢٧٣ ، مجمـع البيـان للطبرسي ١ / ٤٩٧ ، ١٠ / ٧٨٦ .

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ١٤ وذلك في قوله تعالى : (.. إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ..) الانفال – ٤١ .

(٣) ينظر السيرة النبوية لابن هشام القسـم الأول ٢٣٦ – ٢٣٧ ، الفهرسـت للنـديم ٨ ، مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٤) ينظر السيرة النبوية ١ / ٢٦٢ وما بعدها ، اصول الكافي ١ / ٤٩٩ .

نزل عليه قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)) الحجر.

وقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)) الشعراء. فلما جاءه الأمر بإظهار دعوته وإعلانها خرج مع المسلمين يقيمون الصلاة ويدعون الناس، وعندما ذكر آلهة قريش وسخر من اصنامها أجمعوا على خلافه، وأخذت وفود قريش تأتي غاضبة إلى عمه أبي طالب ناصره وحاميه، ومضى رسول الله على أمر الله لا يرده عنه شيء، ولا يعيقه معاداة قريش وتهديدهم، فكانت الايام صعبة على المسلمين إذ لم يكن جانبهم قويا ازاء طواغيت قريش إلاّ اعتصامهم بالله.

أول من آمن به من النساء زوجه خديجة بنت خويلد التي أيدته حين أخبرها بنزول الوحي عليه ووازرته، وأول من آمن به من الذكور علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تربى في بيت النبوة وكان تابعا للنبي في جميع أفعاله مقتديا به[1]، وأول من جهر بقراءة القرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود على الرغم من الخوف من المشركين " فغدا حتى أتى المقام في الضحى وقريش

(١) السيرة النبوية ق ١ / ٢٤٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

فـي انـديتها.. ثـم قـرأ " بسـم الله الـرحمن الـرحيم " رافعـا صـوته (الرَّحْمَنُ ـ عَلَّمَ الْقُرْآنَ..) فقاموا اليـه وجعلـوا يضـربونه فـي وجهـه وهو يقرأ حتى بلغ ما شاء أن يبلغ[1].

أهم وسيلة لحفظ القرآن الكريم في مكة حفظه في الصدور، وهي الأكثر شيوعا والأوسع انتشارا، خصوصا في سني الدعوة الأولى قبل الهجرة.

والوسيلة الأخرى الكتابة فهي الأثبت وقد اهتم بها ﷺ منذ البداية ، وقوله ﷺ : (قيدوا العلم بالكتاب) [2] دليل اهتمامه بالكتابة.

كان كلّما نزل من القرآن أمر بكتابته وحفظه واشاعته بين الناس، فكان المسلم يكتب الآية أو الآيات بعد اخذها من الرسول ﷺ يحفظها ويشيعها بين الناس بقراءتها وتعليمها. وقد رويت مناسبات في ذلك كما روي في إسلام عمر بن الخطاب حين سمع بإسلام اخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد فقصد بيتها وكان عندهما الخبّاب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة "طه" يقرؤها عليهما

---

(١) السابق ق ١ / ٢٣٥ — ٢٣٧ .

(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٦٩ ، البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٢٤ .

ودخل عليهم عمر غاضبا وأخذ الصحيفة فقرأها فاستحسن الكلام وهدي للإسلام — وكان اسلامه بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة[1].

لقد عانى الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون وهم في مكة معاناة شديدة، فكان القرآن ينزل عليه منجّماً: الآية والخمس والعشر فيحفظها ويعلمها اصحابه فيحفظونها ومنهم من كان يكتبها ، وكان عددهم في تكاثر بالرغم من صعوبة المرحلة، فالشفاهية والحفظ كانا الوسيلة الكبرى لحفظ القرآن في المدة التي بقيها في مكة، وقد أنزل عليه فيها اثنتان وثمانون سورة منها ما نزل تمامه في المدينة.

وبعد هجرته إلى المدينة واستقراره فيها كان ترتيب كتابة الوحي وكتابه اكثر وضوحا في العشر سنين قبل وفاته صلى الله عليه وآله في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول وهو ابن ثلاث وستين سنة[2].

---

(١) السيرة النبوية ق ١ / ٣٤٣ — ٣٤٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٠ ، اصول الكافي ١ / ٤٩٩ وانظر السيرة النبوية ٢ / ٦٥٢ — ٦٥٣ .

لقد اتخذ الرسول ﷺ وسيلتين مهمتين للحفاظ على نص القرآن الكريم كما ذكرت: احداهما الحفظ والتحفيظ والاخرى الكتابة والتدوين .

كان يقرأ ما كان ينزل من القرآن الكريم على الصحابة كما كان يستقرئهم.

قال ابن مسعود : قال لي النبي ﷺ: اقرأ علي ، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: نعم، فقرأت " سورة النساء" [(١)].

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشرة الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل) [(٢)].

فكان ﷺ يلقن أصحابه القرآن بنفسه ويعارضهم ويسمع منهم في رمضان خاصة شهر نزول الوحي عليه كل سنة وهم يستمعون .

(١) البرهان للزركشي ١ / ٢٣٠ .

(٢) تفسير القرطبي ١ / ٣٩ وينظر النشر ١ / ٦ البيان للسيد ابي القاسم الخوئي ٣٦ .

وروي عن ابن مسعود قوله حين طلب اليه ترك ما خالف في قراءته نسخة المصحف التي كتبت في عهد عثمان : كيف تأمرونني أن أقرأ على زيد بن ثابت وقد قرأت من في رسول الله بضعا وسبعين سورة وإنّ زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان(١) .

وفي حديث السيدة فاطمة عليها السلام قالت : أسرّ إليّ النبي صلى الله عليه وآله أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وانه عارضي العام مرتين ولا اراه الا حضور أجلي(٢) .

وقد كثر عدد الحفظة للقرآن أو السور منه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قتل في عهده في بئر معونة زهاء سبعين من القراء ، وقد ذكر ابو عبيد القاسم بن سلام في كتابه " القراءات " عدداً كبيراً من الحفاظ (٣) .

(١) المحاصف لأبي داود السجستاني ١٦ .

(٢) البرهان ١ / ٢٣٦ ، تاريخ القرآن لابي عبد الله الزنجاني ١٦ ، ١٧ .

(٣) السيرة النبوية ٢ / ١٨٣ (حديث بئر معونة) البرهان ١ / ٣٠٥ ، البيان للسيد الخوئي ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، تاريخ القرآن – لابي عبد الله الزنجاني ١٨ . وبئر معونة : في ارض بني سليم وارض بني كلاب باتجاه نجد . (معجم البلدان ١ / ٣٠٢)

اما حفظ بعض سور القرآن فقد كان منتشرا ، وعن عبادة بن الصامت : كان الرجل اذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى رجل منّا يعلمه القرآن ، وكان يسمع لمسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن ، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا [١] .

كان الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله يجمعون القرآن حفظا وهم القراء ، ومنهم من جمعه حفظاً وكتابة ، وقد تحدث الشيخ الزرقاني عن " جمع القرآن بمعنى حفظه " وعن " جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته في عهد الرسول صلى الله عليه وآله " [٢] .

الاخبار في جمع القرآن الكريم كثيرة لكنها متخالفة في عدد الجامعين للقرآن [٣] ، وبعد حياة الرسول صلى الله عليه وآله ظهرت اخبار عن جمع القرآن الكريم مختلفة ومتناقضة ايضا، وكأن القرآن الكريم لم يجمع ولم يدون تحت اشراف النبي وكتاب الوحي ، وبعض الروايات تشير انه في الرسول صلى الله عليه وآله يحتوى على الأحرف السبعة

(١) مناهل العرفان ١٩٩ ، البيان للسيد ابي القاسم الخوئي ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٢) ينظر مناهل العرفان ١ / ١٩٧ .. ، ٢٠٠٢ ..

(٣) ينظر الاتقان (النوع الثامن عشر ١ / ١٢٦ ..) مناهل العرفان للزرقاني ١ / ١٩٧ وما بعدها .

الـواردة فـي الحـديث [1] ، وهـو كـلام غـامض يـوحي بـدلالات متناقضة .

لقد استعرض السيد ابو القاسم الخوئي الاخبار والروايات فـي جمع القرآن الكريم وبين تعارضها وتناقضاتها ، وعـدم دقـة الـرواة فيها وعدم مناسبة الكثير منها لمقام أقدس كتاب لـدى المسـلمين ، وعدم النظر إلى اهتمام الرسول ﷺ والصحابة في عهده بنصوص الذكر الحكيم وحفظها وتدوينها وتعلمهـا ثـم مخالفـة الكثيـر منهـا لحكم العقل [2] وخرج في بحثه إلى (أن اسناد جمع القـرآن إلـى الخلفاء أمر موهوم مخالف للكتـاب والسـنة والاجمـاع والعقـل ، .. غاية الأمر ان الجامع قد دون في المصحف مـا كـان محفوظـا فـي الصدور على نحو التواتر، نعم، ان عثمان قد جمع القرآن في زمانـه لا بمعنى انه جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنه جمـع المسلمين في قراءة امام واحـد وأحـرق المصـاحف الأخـرى التـي تخالف ذلك المصحف وكتب إلى البلـدان ان يحرقـوا مـا عنـدهم

(١) الاتقان ١ / النوع الثامن عشر ١ / ١٢٦ .. ، مناهل العرفان ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) ينظر البيان ص ٢٥٦ – ٢٧٣ .

منها. ونهى المسلمين عن الاختلاف في القراءة وقد صرح بهذا كثير من الاعلام) [1].

وقد روى قول الحارث المحاسبي في ذلك: (المشهور عند الناس ان جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي انزل بها القرآن..) [2]، فالخليفة عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين والتي تلقوها بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وانه منع عن القراءات الأخرى المبتنية على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف التي تقدم توضيح بطلانها[3].

(١) السابق ٢٧٤.

(٢) الاتقان ١ / ١٣٢، البيان ٢٧٥.

(٣) ينظر البيان ٢٧٥، ١٧٤ (القراءات والاحرف السبعة).

١ـ كتابة القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وآله

اما الوسيلة الاخرى لحفظ النص القرآني فهي كتابته باتخاذ كتّاب للوحي لتثبيت النص على ما توحيه رموز الحروف أكثر من القراءة الشفوية.

لقد اتخذ النبي صلى الله عليه وآله كتابا للوحي بلغ احصاؤهم ثلاثة واربعين، ولم يكن جميعهم يكتب الوحي وانما وزع الرسول صلى الله عليه وآله عليهم أعماله الكتابية بحيث خصص كل واحد منهم لعمل من اعماله ، فقد روي أنّ عليا عليه السلام وعثمان كانا يكتبان الوحي وبعد الهجرة بقيا كذلك فاذا غابا كتب أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت والامام علي عليه السلام كان يكتب عهود النبي مع كتابة الوحي.

وان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه وان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس وفيما يوصي به.

وان عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الانصار بين الرجال والنساء.

وان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي .

وان مُعَيقبَ بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله ﷺ وان حنظلة بن الربيع ابن اخي اكثم بن صيفي الأسيدي كان خليفة كل كاتب من كتاب النبي اذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب وكان يضع عنده خاتمه وقال له الزمني واذكرني بكل شيء..

وان أبي بن كعب بن قيس وهو من يثرب من بني النجار من الخزرج أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه إلى المدينة – وكذلك زيد بن ثابت من الانصار من بني النجار وروي انه في السنة الرابعة من الهجرة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ان يتعلم كتاب يهود وقال : لا آمن أن يبدلوا كتابي فتعلم كتابهم وتولى كتابة رسائل الرسول ﷺ اليهم والرد على رسائلهم [(١)].

وكان من كتابه في مكة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولما اكتشف الرسول ﷺ عد أمانته في الكتابة فكان يملي عليه عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم فطرده الرسول ﷺ فارتد ولحق

(١) ينظر تفصيل ذلك في ذكر كتاب الرسول ﷺ الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢ وما بعدها . فتوح البلدان ٣٥ ، ٤٧، ٤٥٧ – ٤٦٠ ، المصاحف لأبي بكر السجستاني ص ٣ – المعارف لابن قتيبة ١١٤ ، ٢٦١ طبقات ابن سعد ١ / ٢٦٦ ، ٢٧٣ التنبيه للمسعودي ٢٤٥ ، المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٠١ ، ١٠٢ .

بقريش فلما كان فتح مكة امر الرسول صلى الله عليه وآله بقتله فكلمه فيه عثمان بن عفان وشفع له بانه تاب فأمر الرسول صلى الله عليه وآله بتركه [1] .

كان كتاب الوحي يكتبون النص القرآني كما يمليه عليهم الرسول صلى الله عليه وآله . بلسان قريش، والكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أحرف كما روي في الحديث لأن الأحرف السبعة لا يمكن ان يتضمنها الرمز الخطي ، وقد تمت نصوص ما كتب بمكة بأيدي كتاب قرشيين، وفي المدينة بأيدي كتاب من الأنصار مع القرشيين ولم تكن فروق تذكر في الرسم واللغة بينهما، يضاف إلى ذلك مراقبة الرسول صلى الله عليه وآله ومتابعته لما يكتب بالقراءة والمعارضة كما سبق ذكره، فحين اكتشف عدم أمانة ابن أبي سرح طرده، ومع المنهج الدقيق الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وآله في توثيق النص القرآني ظهر الخلاف في قراءة القرآن من الصحابة وكثرت الخلافات حتى روي الحديث : (ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما

(١) ينظر تفسير الطبري ٧ / ١٨٠ فتوح البلدان ٤٥٩ تاريخ الطبري ٣ / ١٧٣ الكشاف ٢ / ٣٥ مجمع البيان للطبرسي وفيه نزلت الاية الكريمة (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ..) الانعام – ٩٣ ، ٤ / ٥١٨ .

تيسر منه) على اختلاف رواياته. روي في المدينة بعد الهجرة [1].

وتشعبت شروح الأحرف السبعة واختلاف رواياته ووضعت عليها حكايات وتأويلات أخرجتها إلى ما يشبه الخرافة[2].

وقد روي الحديث وفسر كما يأتي : (أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية ظهر وبطن) وفسر الظهر بظاهر المعنى والبطن بباطنه وتأويله وهو من المجاز [3].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال (ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجئ من الرواة)[4].

ويبقى ما رواه الزركشي يؤكد وحدة النزول والقراءة بقوله: (واعلم ان القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله للبيان والاعجاز ، والقراءات هي اختلاف

(١) روى " عند احجار المراء بالمدينة " أو عند أضاة بني غفار " وهما موضعان في المدينة . ينظر تفسير الطبري ١ / ٣٦ وما بعدها .

(٢) انظر تفصيل ذلك تفسير الطبري السابق ، البرهان للزركشي ١ / ٢٦٩ – ٢٨٠ ، النشر في القراءات العشر – ابن الجزري ١ / ١٩ وما بعدها ، مناهل العرفان – المبحث السادس ١١٦ – ١٥٨ البيان للسيد أبي القاسم الخوئي ١٧١ –١٩٣، (وقد ضعف الحديث ورد تناقضات رواياته) .

(٣) المجازات النبوية – الشريف الرضي ٥١ .

(٤) اصول الكافي ٢ / ٦٢١ ، البيان للسيد الخوئي ١٩١ ، ١٩٢ .

الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما .. ان القراءات السبع متواترة عند الجمهور.. اما تواترها عن النبي فقيه نظر..)[١] ومما يؤكد ان كتابة القرآن لا تحتمل الأحرف كما بالغ مفسرو الحديث وابتعدوا عن واقعه، وانما هو حرف واحد يحتمل التأويل ما عثر عليه من أثر لمصحف عثمان الامام. ذكر ابو عمرو الداني في رواية مسندة جاء فيها : حدثنا خلف بن ابراهيم بن محمد قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام : رأيت في الامام مصحف عثمان بن عفان (استخرج لي من بعض خزائن الامراء ، ورأيت فيه اثر دمه) في سورة البقرة (خَطَـيَكُمْ) ״ ٥٨ ״ بحرف واحد والتي في الاعراف (خَطَيَئَكُمْ) ״ ٦ ״ بحرفين [٢] وهذا قول علم من أعلام القراء .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة. كانوا يقرءون القراءة العامة وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل

---

(١) البرهان ١ / ٣٩٥ ، ٣٩٦ وانظر البيان للسيد ابي القاسم الخوئي ١٢٤ وما بعدها .

(٢) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف اهل الأمصار ص ١٥ .

مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرضة الاخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات[1].

فاذا عرفنا ان القرآن الكريم جمعه عدد من الصحابة في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ومنهم من جمع جزء فيه واكمله بعد وفاته . وقد ذكر محمد بن اسحاق من جمع القرآن على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهم: علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وسعد بن عبيد بن النعمان وأبو الدرداء عويمر بن زيد ومعاذ بن جبل وابو زيد ثبت بن زيد وأبي بن كعب وعبيد بن معاوية وزيد بن ثابت [2] .

ويختلف اصاحب علوم القرآن في عدد من يذكرونهم ممن جمع القرآن في عهد النبي[3] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقد ذكرت بعض الروايات ان الامام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ جمع القرآن على ترتيب النزول فبعد وفاة الرسول لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه ويؤلفه فلم يخرج حتى جمعه

(١)البرهان ١ / ٢٩٩ .

(٢) الفهرست للنديم ٣٠ .

(٣) البرهان ١ / ٢٩٧ ، الاتقان ١ / ١٥٤ — ١٦٠ البيان للسيد أبي القاسم الخوئي ٢٥٦ — ٢٧٥ .

كله ، وفي رواية اخرى انه قال : (رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسي ان لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه)[١] .

وكان القرآن الكريم مجموعا مكتوبا في عهده ﷺ فكتابة القرآن ليست محدثه فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب ويعلل الزركشي عدم جمعه بين دفتين بقوله : (وانما لم يكتب في عهد النبي مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته)[٢].

وهذا الكلام ينقضه ما روي عن زيد بما ثابت انه قال : (كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع)[٣] وتأليف القرآن أي ترتيب الآيات والسور بحسب اشارة الرسول ﷺ فالقرآن الكريم كان مجموعا على عهد رسول الله بروايات كثيرة تعارض رواية عدم جمعه ، فقد روى جماعة منهم ابن أبي اشتة واحمد بن حنبل

(١) الفهرست للنديم ٣٠ ، الاتقان ١ / ١٢٧ تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) البرهان ١ / ٢٩٧ ، الاتقان ١ / ١٢٦ .

(٣) البرهان ١ / ٢٥٩ ، الاتقان ١ / ١٢٦ والرقاع : جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد .

والترمـذي والنسـائي وابـن حبـان والحـاكم والبيهقـي والضـياء المقدسي عن ابن عباس قال : قلت لعثمـان بـن عفـان : مـا حملكـم على ان عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، والى براءة وهـي مـن المئين فقـرنتم بينهمـا ولـم تكتبـوا بينهمـا سـطر " بسـم الله الـرحمن الرحيم " ووضعتموهما في السبع الطـوال مـا حملكـم علـى ذلـك ؟ فقال عثمان : ان رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليـه الزمـان ينـزل عليه السورة ذات العدد ، وكان إذا أنزل عليـه الشـيء يـدعو بعـض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كـذا وكذا، وتنزل عليه الآيات ، فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما أنزل بالمدينة ، وكانـت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت انها منها ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر " بسم الله الرحمن الرحيم " ووضعتهما في السبع الطوال [(١)].

---

(١) البرهان للزركشي ١ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ البيان للسيد الخوئي ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

وروى عن الشعبي وقتادة وعبد الله بن عمر وابن مسعود أقوالا عمن جمع القرآن الكريم على عهد النبي ﷺ [1].

وقد مر قول المحاسبي فيما اشتهر عند الناس ان جامع القرآن عثمان قائلا : (ليس كذلك انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار) [2].

كل ذلك يثبت أن القرآن الكريم كان مجموعا مؤلفا من الرقاع والجلد واللخاف وهي صفائح الحجارة الرقيقة كان مجموعا ومرتبا على عهد رسول الله ﷺ وكيف يعقل انه ﷺ تركه موزعا على الاكتاف والاقثاب والعسب وقد وردت كلمة الكتاب في القرآن كثيراً وهي تدل على معنى الكتاب المجموع المرتب كقوله : (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ـ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ) الواقعة / ٧٧ — ٧٨ وقوله (وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) الاحقاف / ١٢ ، (فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ) ومواضع

(١) ينظر منتخب كنز العمال ٢ / ٤٨ ، ٥٢ ، صحيح البخاري (باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٦ / ١٠٢ ، الاتقان ، ١ / ١٣٢ البيان للسيد الخوئي ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) الاتقان ١ / ١٣٢ .

كثيرة جدا ثم الأثر المروى عنه ﷺ قبل وفاته (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) [1] .

هاتان الوسيلتان: الحفظ في الصدور والكتابة التي تثبت النص وتحفظ أداءه هما حفظا النص القرآني مقرونة بحفظه تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر – ٩.

ب. أمية الرسول ﷺ وأمية العرب

هذه قضية تناولتها أحاديث المؤرخين وأقوال المفسرين وأصحاب علوم القرآن، فكان فيها آراء وأقوال مختلفة وتفاسير مختلفة أيضا، يحتاج الحديث فيها إلى شيء كثير من الاستقراء والدقة في فهم النصوص أو ما وراء النصوص. سأعرض الأهم منها ثم أخرج بما اراه أقرب إلى الحقيقة.

الأمّيّ في اللغة ما شاع من معناها أنه صفة من لا يكتب أو على خلقة الأمّة لم يتعلم الكتاب وهو باق على جبلّته ، أو هو العيي الجلف الجافي القليل الكلام [2] .

(١) مسند احمد ٣ / ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ صحيح مسلم رقم ٢٤٠٨ ٢ / ٤٥٠ فضل علي عليه السلام اصول الكافي ١ / ٣٢٦ البيان للسيد الخوئي ٢٦٩ سيد اعلام النبلاء للذهبي ٩ / ٣٦٥ .

(٢) القاموس المحيط (أمم) .

وجاء في ″ لسان العرب ″ الأمي: لا يكتب. قال الزجاج: الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته. وقال أبو اسحاق الزجاج: معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْهُ أمّهُ أي لا يكتب، لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه.. وفي الحديث (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب) [1] أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى.

وفي الحديث (بعثت إلى أمة أمية). قيل للعرب الأميون، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة، ومنه قوله تعالى: (بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ..) الجمعة – ٢.

وقيل لسيدنا محمد رسول الله ﷺ : الأمي، لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغير ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص فحفظه الله على نبيه كما

(١) تفسير الطبري ١ / ٤٣٠ .

أنزله وأبانه من سائر من بعثه اليهم بهذه الآية ، ففي ذلك أنزل تعالى : (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) العنكبوت – ٤٨ . ولولا هذه صفة الأمية لقالوا : انه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب [١] .

والأمي: نسبة إلى الأم أو الأمة: من لا يقرأ ولا يكتب أو العيي الجافي.

والأمية : مؤنث الأمي : مصدر صناعي معناه الغفلة أو الجهالة[٢] .

وتناول المفسرون مصطلح (الأمي) و (الأمية) والاجابة عن سؤال:

هل كان الرسول ﷺ يقرأ ويكتب ؟

لقد وصف النبي ﷺ بـ (الأمي) في سورة الاعراف آية ١٥٧ – ١٥٨ وفي سورة العنكبوت آية ٤٨ وهما من السور المكية ، لكن مصطلح (الأميين) في السور المدنية : البقرة ٧٨ وآل عمران ٢٠ وسورة الجمعة ٢ .

(١) اللسان (أمم) وكذا يرجع إلى تاج العروس (أمم) ، غريب القرآن – ابن قتيبة ٣٣٨ .

(٢) المعجم الوسيط (أمم) .

وجاء وصف النبي في التوراة والانجيل بان (أمي) وكانت أخبار لدى الكهان من العرب والاحبار من يهود والرهبان من النصارى [1] . قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ) الاعراف ١٥٧ .

وكان يهود ينذرون بظهور نبي في مكة وهاجر منهم اليها ليشهد ظهور النبي الذي قارب زمانه بحسب ما لديهم من الاخبار ، وقد سميت مكة " أم القرى " لأنها مكان أول بيت وضع للناس ، ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجتهم والنسبة اليها أمي [2] .

وجاء في سيرة ابن هشام حديث (عاصم بن عمر بن قتاده عن رجال من قومه قالوا : ان مما دعانا إلى الاسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان النبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم..)[3] .

---

(١) ينظر التفصيل في السيرة النبوية ١ / ٢٠٤ – ٢١٤ .

(٢) ينظر الكشاف ٢ / ٣٥ .

(٣) السيرة النبوية ١ / ٢١١ .

من هذا نفهم مجيئ يهود إلى أم القرى (مكة) ينتظرون ظهور نبي فيها ثم وصف الرجال من قوم قتادة لأنفسهم (العرب) انهم أهل شرك وأوثان ويهود : كانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا " فالوصفان لا صلة لهما بما هو شائع من أن الأمية عدم معرفة القراءة والكتابة ، نعم لها صلة بالجهل وعدم المعرفة بأمور العقيدة وغيرها فالمشرك الذي يعرف القراءة والكتابة هو أمي ، لأنه من غير أهل الكتاب هكذا كان اليهود يصفون العرب وغيرهم الذي على غير دينهم " فهي صفة تهمة يطلقها اليهود على العرب باعتبارهم مشركين من جهة فيتعالون عليهم وهي صفة باليهود يسمون أنفسهم أهل الكتاب وغيرهم بالأميين وقد اسندوا الكلمة إلى الدين بدليل قوله تعالى (وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) آل عمران – ٧٥ ، فهم كانوا يزعمون كما هم مخصصون بالكرامة الالهية .. فلهم السيادة والتقدم على غيرهم.. وهذا مالا يوجد فيما عندهم من الكتب المنسوبة إلى الوحي كالتوراة وغيرها لكنه أمر أخذوه من أفواه أحبارهم فقلدوهم فيه [1] .

(١) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ٣ / ٣٠٠ – ٣٠١ .

فصفة (الأميين) الواردة في القرآن الكريم كان لها معنى آخر يحدده سياق الآيات غير معرفة القراءة والكتابة، وانما هو وصف للوثنيين الذين لم يعرفوا كتابا سماويا أو لليهود والنصارى الذين لم يعرفوا سوى ما يقوله كهنّهم ورهبانهم من أساطير يتمنونها ويفتعلون الأحاديث الكاذبة كما سيأتي من أقوال المفسرين.

قال الفراء في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ) البقرة — ٧٨ : هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب و (النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) الاعراف —١٥٧ ، والأماني ان يفتعل الرجل الاحاديث المفتعلة [١] .

وقال قطرب : الأمية : الغفلة والجهالة ، فالأمي منه وذلك هو قلة المعرفة [٢] .

وذكر الطبري قول ابن زيد (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ..) قال: أميون لا يقرءون الكتاب من اليهود.

وروى القول عن ابن عباس في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ) قال : الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا انزله الله ،

(١) معاني القرآن ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) مفردات الفاظ القرآن — للراغب الاصفهاني ٨٧ وكرر الاصفهاني ما سبق في معني الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ أو المنسوب إلى الأمة .

فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفله جهال : هـذا مـن عنـد الله ، وقال : انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحـودهم كتـب الله ورسله ، وعلق الطبري على هذا التأويـل قـائلا : وهـذا تأويـل علـى خلاف ما يعـرف مـن كـلام العـرب المسـتفيض بيـنهم ، وذلـك أن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب [١].

كما فسر قوله تعالى : (وَمِـنْهُمْ أُمِّيُّـونَ لاَ يَعْلَمُـونَ الْكِتَـابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ..)

قال : ومنهم من لا يحسن أن يكتب ، لا يعلمون الكتاب وهـو التوراة الذي انزله الله ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه ، انما هم امثـال البهـائم وهـم نـاس مـن يهـود لـم يكونـوا يعلمون شيئا من الكتاب وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كلام الله ويقولون : هو من الكتاب أماني يتمنونها وهي الاكاذيـب فهـم بـين من لا يقرأ الكتاب ويكتبه فيحرفه وبين من لا يقـرأ ولا يكتـب ولا يعلم من الكتاب إلا أكاذيب المحرفين يتقبلونها على التقليد [٢].

وفسر الزمخشري (الاميين) بالمشركين الوثنيين في قوله تعالى: (.. وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُـواْ الْكِتَـابَ وَالأُمِّيِّـينَ أَأَسْـلَمْتُمْ فَـإِنْ أَسْـلَمُواْ فَقَـدِ

(١) تفسير الطبري ١ / ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ٤٣١ .

اهْتَـدَواْ..) آل عمـران – ٢٠، (الـذين أوتـوا الكتـاب مـن اليهـود والنصـارى، واخـتلافهم انهـم تركـوا الاسـلام وهـو ديـن التوحيـد والعدل.. فثلث النصارى وقالت اليهـود : عزيـز بـن الله ، وقـالوا كنـا أحق بـأن تكـون النبـوة فينـا مـن قـريش لأنهـم أميـون ونحـن أهـل الكتاب [١] .

وذكر القرطبي قول ابـن عبـاس المـذكور : (الأميـون العـرب كلهـم مـن كتـب مـنهم ومـن لـم يكتـب لانهـم لـم يكونـوا أهـل الكتاب)[٢] .

فأمية العرب إذاً لأنهم كانوا اهل شـرك ولـيس لهـم كتـاب لا لعدم القراءة والكتابة. فبعث الله في الاميين رسولا مـنهم مـن بيـنهم يتلو عليهم آياته..

(وقد ذهب بعض المستشرقين إلـى ان المقصـود مـن الاميـين هنا الوثنيين وان الامية هذه أخذت من اليهود الذين كانوا يطلقـون لفظة ″ أمت ″ و ″ أميم ″ على غيرهم يريدون بها الوثنيين)[٣] .

(١) الكشاف ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ ، تفسير الميزان ١ / ٢١٤ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٣ / ٤٥ .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ / ٨١ ، ٨٢ .

وذلك ما ذكرته من قول الزمخشري وما أشار اليه قبله الطبري سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله ″ فالأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله ″ كما ذكر ابن عباس .

وذهب الدكتور جواد علي إلى ان لفظة (أمي) و (أمية) لم تكن تعني عند الجاهليين معنى الجهل بالقراءة والكتابة وانما كانت تعني عندهم مشركين ووثنيين، وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم والذي نعت الرسول به بالأمي لأنه من العرب ومن قوم ليس لهم كتاب عرفوا بذلك من اليهود أهل الكتاب. أما تفسيرها بالجهل بالكتابة والقراءة فقد وقع في الاسلام.. ودليل ذلك لما فسروا (الأمي) و (الأمية) بمعنى عدم القراءة والكتابة حاروا في ايجاد اشتقاق لهذا المصطلح فقالوا ما قالوه في تفسيرها بانها سميت بالأمية ، لأنها على خلقة الأمة أو لأنها على الجبلة والفطرة ، وأصل ولادة الأمهات أو نسبة إلى الأمم وغير ذلك مما جاء لدى اللغويين[1] .

ولو كانت الأمية معروفة لدى أهل الجاهلية بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر من اشعار الجاهليين أو المخضرمين ، ولما

---

(١) ينظر لسان العرب (امم) ، تاج العروس (امم) .

لجئوا إلى التفاسير المتكلفة فالاستشهاد بالشعر من عادتهم في تفسير الألفاظ الغريبة ، فعدم استشهادهم بشعر أو نثر في تفسيرها دليل على ان اللفظة بما شاع من تفسيرها من الألفاظ التي عرفت في الاسلام [١] .

كيف يوصف العرب بالأمية بسبب جهلهم القراءة والكتابة على حين كان سواد يهود ونصارى جزيرة العرب أميا ايضا لا يقرأ ولا يكتب ، لكن القرآن الكريم استثناهم وسماهم (أهل الكتاب) والعرب الذين لم يكونوا يهودا ولا نصارى أميون، لأنهم ليسوا أصحاب كتاب لا لأنهم لم يحسنوا الكتابة والقراءة [٢] كما مر في تفسير الميزان .

وكذا جاء في تفسير قوله تعالى: (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ..) آل عمران –٢٠، وقل للذين أوتوا الكتاب من

(١) ينظر المفصل في تاريخ العرب ٨ / ٨٢ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك المصدر السابق ٨ / ٨٤ وما بعدها فقد ذكر مواطن الكتابة والكتاب في جزيرة العرب .

اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب (أَأَسْلَمْتُمْ)[1] .

ج- معرفة الرسول الكريم القراءة والكتابة

لقد كثر الحديث والجدل بين الدارسين الاسلاميين قديما في قضية معرفة الرسول ﷺ القراءة والكتابة ، وهل كانت قبل بعثته أم كانت بعدها ؟

وكان وصفه بالنبي الأمي في القرآن الكريم حجة لمن فهم (الأمي) بالمفهوم الذي شاع بين المسلمين ، والذي هو شائع حديثا ايضا انه عدم معرفة القراءة والكتابة ، ولكن الباحث عن مفهوم مصطلح الأمي والأمية يخرج بما ذكرناه وذكره جملة من المفسرين بأن الأمية لم يكن معناها عدم معرفة القراءة والكتابة ، ولكن الباحث عن مفهوم مصطلح الأمي الأمية يخرج بما ذكرناه وذكره جملة من المفسرين بأن الأمية لم يكن معناها عدم معرفة القراءة والكتابة وانما اطلقت لوصف المشركين الذين لم يكن لهم كتاب كما روي عن عبد الله بن عباس وكما يدل عليه سياق الآيات التي وردت فيها .

(١) تفسير الطبري ٣ / ٢٥٣ ، مجمع البيان ، الطبري ٢ / ٧١٩ تفسير الميزان الطباطبائي ٣ / ١٤٠ ، ١٤١ .

ووصف النبي بـ (الأمي) لا صلة له بالقراءة والكتابة ، فوصفه ﷺ ورد في كتاب التوراة والانجيل ، وكان اليهود والنصارى يعرفون ذلك والمعاصرون منهم لرسول الله ﷺ يترقبون ظهوره ، ويكثرون الحديث فيما بينهم لمعرفة الحقيقة أو لتغطيتها ، لأن النبي الامي (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) [١] سيأتي بدين جديد دين توحيد وعدل على غير ما كان عليه اليهود والنصارى كما مر آنفا .

ومما ورد في اصطلاح (الامي) انه المنسوب إلى (مكة) وسميت (أم القرى) لأنها مكان أول بيت وضع للناس ، ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجتهم [٢] .. وهو المروي عن الامامين الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام [٣] أو انه منسوب إلى أمة العرب المشركين

(١) الاعراف – ١٥٧ .

(٢) ينظر الكشاف ٢ / ٣٥ في تفسير قوله تعالى : (وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) الانعام –٩٢.

(٣) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٤ / ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، روح المعاني للالوسي ٩ / ٧٩ ، تفسير الطبري ١ / ٤٣٠ ، ٤٣١ تفسير نور الثقلين – الشيخ الحويزي ٢ / ٧٨٠ ، تفسير الميزان ٣٠٠ ، ٤٠٠ .

الذين ليس لهم كتاب . بعثه الله (رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) الجمعة — ٢ .

فالمعنى لا يخرج عن هذين المفهومين أو جاء بهما جميعا حين تكرر المصطلح .

فقد نعت الرسول ﷺ بـ (الامي) في السور المكية كما ذكرت ووردت كلمة (الأميين) في السور المدنية نعتا للمشركين الذين ليس لهم كتاب أو لمن (لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ..)

وقد حاول الزرقاني ان يكون وسطا يجمع بين ادلة من قال بامية الرسول ﷺ بمفهوم عدم معرفة القراءة والكتابة ، ومن قال بمعرفته بعد الرسالة وأدلة الطرفين المتعارضة قائلا : (غير ان التعارض ظاهر فيما بين هذه وتلك غير انه تعارض ظاهري يمكن دفعه بان نحمل أدلة الامية على اولى حالاته ﷺ وان نحمل أدلة كتابته على اخريات حالاته ، وذلك جمعا بين الادلة ولا ريب ان الجمع بينهما اهدى سبيلا من اعمال البعض واهمال البعض ما دام منهما قوة الاستدلال) [1] .

---

(١) مناهل العرفان ١ / ٢٩٦ وينظر تفسير البحر المحيط لابي حيان ٧ / ١٥٥ وينظر تفسير روح المعاني ٢١ / ١٧ وما بعدها، المفصل في تاريخ العرب ٨ / ٧٥ ومصادر الهوامش .

والرأي عندي انه ﷺ كان يقرأ ويكتب وبعد البعثة دون شك والكلام في امية الرسولﷺ بعدم القراءة والكتابة وهم ، اعتمد القائل به على الحديث المرسل (انا أمة امية لا نكتب ولا نحسب) والآية الكريمة (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) العنكبوت–٤٨ .

أما الحديث فهو يعني وضع العرب الجاهليين عامة يصفهم بندرة الكتابة والقراءة وهو من هؤلاء الموصوفين ولا يفهم مشاركتهم بصفتهم – كما يفهم المعنى في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ) الجمعة – ٢ ، فهو عليه الصلاة والسلام بعث (في الاميين رسولا منهم) أي من هؤلاء القوم ، لكن رسالته (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) فأميتهم كونهم في ضلال مبين ، لم يكن عندهم كتاب من عند الله فنسبهم إلى الأمية ، كما وصف ناس من يهود بـ (الأميين) لأنهم لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا وكانوا يتكلمون بالظن في كتاب الله ، ويقولون : هو من

الكتاب أماني واكاذيب يتمنونها وذلك جاء في قوله تعالى (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ)[1] .

واما الآية الكريمة (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ ...) فهي تدفع تهمة اليهود بان الرسول صلى الله عليه وآله قد جمع اقواله وما جاء به من كتبهم ، فهذه الآية تدفع تهمتهم الباطلة[2] . وذلك وصفه قبل البعثة لا بعده. لقد سمى المشركون النبي صلى الله عليه وآله في بداية دعوته بمكة بأنه (صابئ) وكانت " العرب تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب صائبا " (٣) .

وقد وردت في الاخبار اشارات واضحة لمعرفة الرسول القراءة والكتابة بعد البعثة نذكر اهمها:

(١) سورة البقرة — ٧٨ . ينظر تفسير الطبري ١ / ٤٧٢ ، الكشاف ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٢) ينظر تفسير الميزان ١٦ / ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٩ / ٢٨٠ .

(٣) الاكليل — للهمداني ابي محمد الحسن بن احمد ١ / ٤٤ = المفصل في تاريخ العرب ٨ / ٨٤ ، السيرة النبوية ١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

١- من ذلك ما ورد في الحديث عن أنس انه ﷺ قال : (رأيت ليلة اسري بي مكتوبا على باب الجنة ، الصدقة بعشر أمثالها ..) [١].

٢- جاء في سيرة ابن هشام : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الاسدي .. وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين.. وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه [٢].

٣- وجاء عن البراء : قال اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة يدعوه يدخل مكه حتى يقاضيهم على أن يقيم بها ثلاثة ايام ، فلما كتب الكتاب كتب : (هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : لو نعلم انك رسول الله ما منعناك ، ولكن انت محمد بن عبد الله . قال : انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ، قال لعلي عليه السلام : امح " رسول الله " قال : لا والله ، لا أمحاك ابدا ،

(١) سنن ابن ماجة رقم ٢٤٣١ ، ميزان الحكمة – محمد الريشهري ٣ / ٦٩٩ رقمه ٣٣٣٧ عن الامامين علي والصادق عليهما السلام ، كنز العمال – المتقي الهندي رقم ١٥٣٧٣ ، مناهل العرفان ١ / ٢٩٦ .

(٢) السيرة النبوية القسم الاول ٦٠١ .

فأخذ رسول الله ﷺ وليس يحسن يكتب – فكتب مكان رسول الله محمد، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد..)[1].

٤- عن ابن عباس قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ، قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني باللوح والدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده. قال: فقال بعضهم: إن رسول الله يهجر[2].

وان الحديث المرسل (انا أمة امية لا نكتب ولا نحسب) ليس نصا في استمرار نفي الكتابة عنه عليه السلام، ومعرفته الكتابة بعد أميّته لا تنافي المعجزة بل هي معجزة اخرى لكونه من غير تعليم[3].

د. الخط الذي كتب به القرآن الكريم

اختلفت الروايات في أصل الخط العربي قبل الاسلام ، وسنشير إلى الدراسات التي تناولت نشأة الخط العربي والكتابة[4] ،

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦٣٦ وانظر مناهل العرفان ١ / ٢٩٦ وانظر المصادر في هامش الصفحة .

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) ينظر تفسير الألوسي ١١ / ٤ ، ٥ ، ٢١ / ١٧ .. مناهل العرفان ١ / ٢٩٦ .

(٤) ينظر الفهرست للنديم ٧ وما بعدها ، فتوح البلدان . للبلاذري ٤٥٦ ، ٤٥٧ . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ / ١١١ – ١٥١ ، تاريخ اللغات السامية – ولفنسون ١٩٦ .. موسوعة الخط العربي – ناجي زين الدين المصرف ج٢ ، ٤ ، الخط العربي وتاريخه وانواعه يحيى العباسي الخط العربي سهيلة الجبوري .

ونـنصرف إلى الخط العربي الذي انتشر فـي المـدن العربيـة والـذي دون به القرآن الكريم .

قال الجـاحظ: (لـيس فـي الارض أمـة.. إلا ولهـم خـط ، فأمـا أصـحاب الملـك والمملكـة والسـلطان والجبايـة والديانـة والعبـادة فهناك الكتاب المتقن والحساب المحكـم ، ولا يخـرج الخـط مـن الجزم والمسند المنمنم كذا كيف كان ، قال ذلك الهيثم بن عـدي وابن الكلبي)[1] .

فالخط العربي الجـاهلي قلمـان: جـزم ومسـند، فالمسـند خـط عرب جنوب جزيرة العرب وخط من كتـب بـه فـي انحائهـا، وهـو أحد فروع القلم الفينيقي، والجزم: خط أهل مكة والمدينة وعـرب العراق وغيرهم من عرب شمال الجزيرة.

وقد خالط عرب العراق الاراميين وتأثروا بثقافتهم ومـنهم مـن اعتنق النصرانية دينهم ، فلـيس مـن المسـتبعد اسـتعمالهم قلمـين او أكثر في الكتابة : احدهما ما راه نصارى العراق من السرياني والذي ولد الجزم والمسمى بالخط الرهاوي وقلم آخر استعملوه للكتابات السـريعة، وغيـر بعيـد احتمـال كتابـة أهـل العـراق أو أهـل الأنبـار

(١) الحيوان ١ / ٧١ .

وغيرهم من عرب العراق بالقلمين المذكورين[1] القلم الـذي دعـاه البطلوسي بالمشق وهو قلم أهل الانبار، وهو خط فيه خفة، ولأهـل الحيرة قلم الجزم[2].

وللعلماء العرب أقوال ومؤلفـات فـي الخـط العربـي وتاريخـه وتطوره، ولهم نظريات في نشأته ، وفي مقدمتهم ابـن الكلبـي كمـا سبق في كلام الجاحظ واراء لابن عباس، بان الخط انتشر من اهـل الحيرة إلى الانبار ومنها إلى الحجاز وذلك بسبب ما كان بين عرب جنوب العراق وقبائل الحجاز مـن علاقـات تجاريـة وادبيـة خاصـة مكة والمدينة [3].

ولجرجي زيدان رأي في الخط العربي ذلك ان العـرب الـذين تحضروا واقاموا فـي العـراق وفـي بـلاد الشـام اقتبسـوا الكتابـة مـن جيرانهم، فمنهم مـن كتـب بالعبرانيـة ومـنهم مـن كتـب بالسـريانية ولكن القلمين النبطي والسرياني ظـلا عنـدهم إلـى مـا بعـد الفتـوح

(١) ينظر المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب لأبي محمد البطليوسي ١ / ١٧٣ .

(٣) فتوح البلدان ٤٥٦ ، ٤٥٧ ينظر الفهرست للنديم ٧ ، ٨ المزهر للسيوطي ٢ / ٣٤١ – ٣٥٢ تاريخ اللغات السامية ١٩٩ – ٢٠١ المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٢١ – ١٢٩.

الإسلامية ، فتولد الخط النسخي من النبطي وتولد الخط الكوفي، نسبة إلى الكوفة — عن السرياني وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام الحيري نسبة إلى الحيرة، ومعنى ذلك ان السريان كانوا يكتبون بأكثر من قلم من الخط السرياني في جملتها ولم يسمونه (السطرنجيلي) كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس، فاقتبسه العرب في القرن الأول قبل الاسلام وكان من اسباب تلك النهضة عندهم، ومنه تولد الخط الكوفي وهما متشابهان[١].

وذكر بعد ذلك رايه مازجا بين رأيين قائلا : والخلاصة ان العرب تعلموا الخط النبطي من حوران في اثناء تجارتهم إلى الشام، وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبل الهجرة بقليل وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام وكانوا يستخدمون القلمين معا: الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الاسفار المقدسة ، والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية [٢].

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٢ / ١٥٨ (الخط العربي) المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) المرجعان السابقان .

ويرى بعض الباحثين ان القلم العربي قد أخذ من الارامي وذلك لأن السريان الذين هم من بني ارم قد طوروا القلم الارمي وكتبوا بقلمين: احدهما قديم كتبت به الاناجيل والكتب المقدسة وهو المربع ذو الحروف المستقيمة وهو الاسطرنجيلي، وقلم سهل ذو حروف مستديره هو قلم النسخ، وقد عرف العرب القلمين وكتبوا بهما فسموا السهل النسخ والاخر الكوفي[1] وحجتهم ان القلم العربي اخذ بترتيب (ابجد هوز حطي) وهو ترتيب على طريقة الاراميين كما اخذ بهذا الترتيب بحساب الجمل وهو عند بني إرم كما اخذ بقواعد رسم الاملاء مثل حذف الالف عند وقوعه في وسط الكلمة في (رحمان ومساكن ويتامى ومساجد وكتاب وابراهيم واسحاق واسماعيل) فإنها تكتب في خط المصاحف بدون الف[2].

ويرى المستشرق (وايل) ان الترتيب الذي يرد للحروف العربية على طريقة (ابجد هوز حطي) هو ترتيب اخذه العرب من النبط او اليهود وقد اخذه النبط. والعبرانيون من القلم الارمي وتشير هذه الطريقة إلى اشتقاق القلم العربي من القلم النبطي المتفرع من

(١) المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٣٣ .

(٢) السابق ٨ / ١٣٣ .

القلم الارمي[1] وقد وضع علماء العرب حروف (ثخذ ضظغ) لأنها لم ترد في هذه الابجدية ولكنها ترد في العربية ودعوها الروادف.

ومما يدل على ان الارامي من اصولا الخط العربي ان الحافظ شمس الدين الذهبي ذكر في ذيل رواية خارجة بن زيد عن ابيه: ان زيد بن ثابت بأمر الرسول ﷺ تعلم كتابة اليهود وحذقها في نصف شهر، فتعلمه في مدة نصف شهر يدل على انه تعلم احد نوعي الخط السرياني خط يهود، ولذلك ذكر في ترجمة زيد بن ثابت انه تعلم السرياني. ثم ان الخط الكوفي اشبه الخطوط بالخط الحيري والحيري قريب الشبه من النبطي، وهو من الارامي وهو من الفينيقي[2].

فأقدم كتابه عربية شبيهة بالقلم النبطي المتأخر هي كتابة (نقش النمارة) ٣٣٨ بعد الميلاد حيث فيها حروف كثيرة مرتبطة بعضها ببعض وفيها التاء المربوطة في نهاية الكلمة[3].

ونهض القلم العربي نهضته الحقيقية منذ ظهور الاسلام، لذلك سماه الدكتور جواد علي (الخط العربي القرآني) لأن القرآن

(١) المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٣٩ .

(٢) تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ٥ .

(٣) ينظر تاريخ اللغات السامية ١٩٩ — ٢٠١ .

الكريم هو صاحب الفضل لتخليد هذا الخط وتثبيته لأمر الرسول ﷺ بتدوين الوحي به أي بهذا الخط العربي القديم الذي اخذه اهل مكة من اهل الحيرة والانبار وعين التمر[1].

ان اول من نشر الكتابة وشجع عليها هو الرسول ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة فقد أسر في (غزوة بدر) سبعين رجلا وفيهم كثير من الكتاب فجعل فدية الكاتبين منهم تعليم كل واحد عشرة من صبيان المدينة وانتشر الخط بالتدريج، وقد اتخذ له كتّاباً يكتبون الوحي وقضاياه الاخرى بلغ احصاؤهم ثلاثة واربعين كاتبا وزعهم لأعماله الكتابية، فمنهم من كتب الوحي والعهود مثل علي بن أبي طالب عليه السلام ومنهم الوحي عثمان وأبي وزيد بن ثابت وقد مر ذكر ذلك[2].

فالخط الكوفي نسبة إلى الكوفة بعد بنائها لأن الخط الحجازي هذبت قواعده وحروفه فنسب اليها وقد اشتقه اهل الحيرة والأنبار من الخط النبطي وسمي بالحيري او الانباري ثم الكوفي وكتبت به

(١) فتوح البلدان ٤٦٠ ينظر تاريخ اللغات السامية ٢٠١ ، المفصل في تاريخ العرب ٨ / ١٣٨ .

(٢) ينظر تاريخ الطبري ٣/ ١٧ كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢–١٤ المفصل في تاريخ العرب ١٠١/٨–١٠٥ تاريخ القرآن – الزنجاني ٢٠ ، ٢١ .

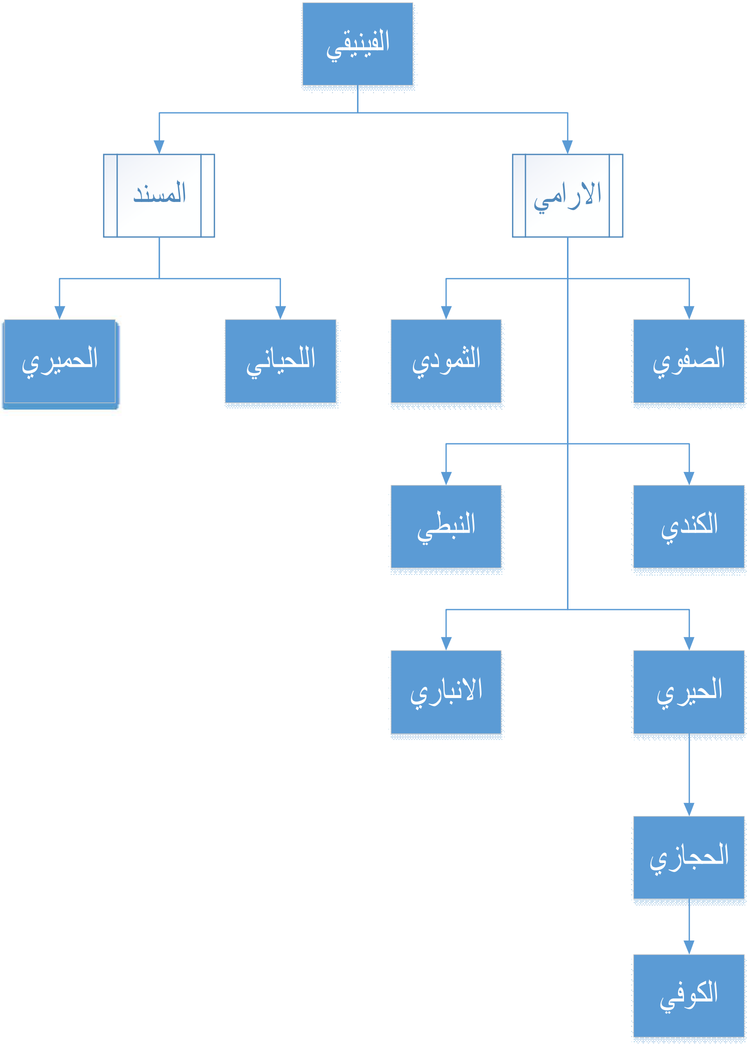
كل النسخ الخطية من المصاحف السابقة للقرن الرابع الهجري بمختلف اساليبه[1] وقد كانت مراكز للخط في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين منها: مكة والمدينة والكوفة والبصرة [2] ولكن غلب اسم الكوفة لجودته واتخاذه لكتابة القرآن الكريم جاء عن ابي حكيمة العبدي قال: (كنت اكتب المصاحف في الكوفة فيمر علينا علي عليه السلام فيقوم فينظر فيعجبه خطنا ويقول: (هكذا نوّروا ما نوّر الله)[3].

(١) الخط العربي يحيى سلوم العباسي ١٥٤ — ١٥٥ ، الخط العربي سهيلة الجبوري ٢٥ ، ٣٥.

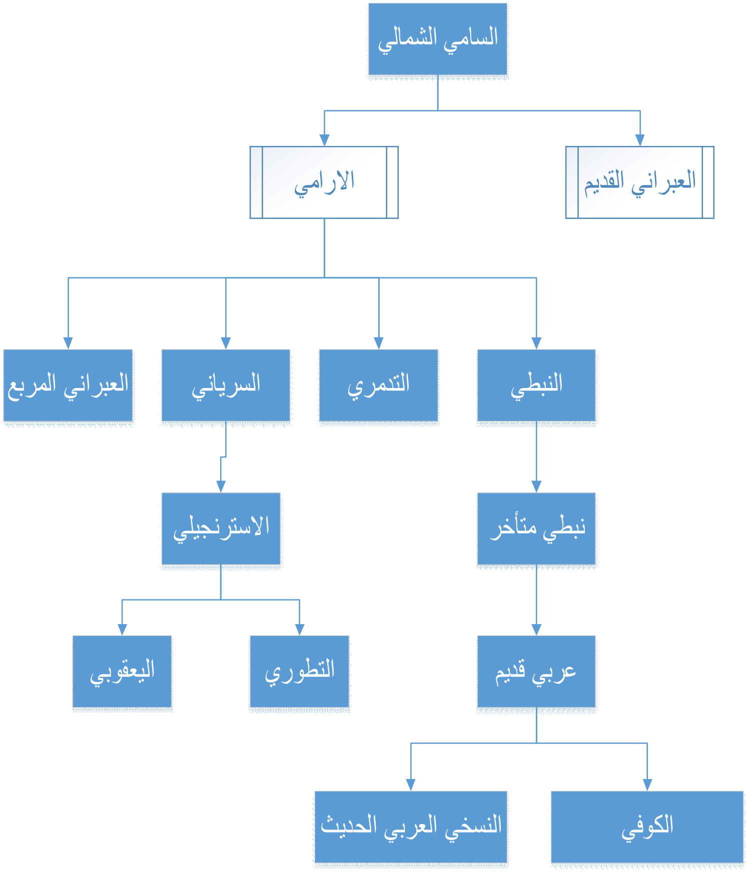
(٢) الفهرست ٩ ، الخط العربي ، سهيلة الجبوري ٣٨.

(٣) كتاب المصاحف لابي داود السجستاني ١٣٠ موسوعة الخط العربي ٨/٤ تفسير القرطبي ٢٩/١ . (ثم كتبت وعلي عليه السلام قائم ينظر إلى كتابتي فقال : هكذا نوّره كما نوره الله عز وجل) .

الخط العربي على رأي رواة العرب



الخط العربي على الرأي الآخر



تاريخ القرآن – عبد الله الزنجاني
الخط العربي – سهيلة ياسين الجبوري
موسوعة الخط العربي – ناجي زين الدين المصرف

الفصل الثالث

قراءة النص القرآني ونقطة الافتراق[1]

تمهيد

واجه النص القرآني منذ بدايته موقفين: أحدهما موقف الرفض والتشويش كما يواجه كل جديد في القيم والمفاهيم.

والآخر محاولات نقده وتجاوزه وإبطال ماهيته.

وبقي هذان الموقفان يلازمانه على مر الأيام واختلاف الأحوال ـ وكلما تقدمت الحياة واتسعت المعارف والعلوم انعكس ذلك على قراءة النص وقوي موقفه من حيث ضعفهما، لذلك جاء التحدي الإلهي في قوله تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) الإسراء:٨٨.

كما جاء تأكيد حفظه وبقائه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر:٩.

وقد عرّف القرآن نفسه بأنه هدى للعالمين ونور مبين وتبيان لكل شيء (الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) البقرة:١ـ٢.

(١) شارك البحث في المؤتمر الثامن للجامعة الإسلامية في بابل

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) البقرة:١٨٥.

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) النحل:٨٩.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) النساء:١٧٤.

وأول من قرأه وفسره الرسول الأعظم عليه وعلى أهل بيته الصلاة والسلام ومصدره الوحي الذي أشار إلى ذلك (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) البقرة:١٥١.

وقوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل:٤٤.

وتوالت قراءة الصحابة بعد الرسول وبعدهم التابعون، وكانت قراءتهم على وجه ما عرفته العرب في كلامها فهو نزل (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) الشعراء:١٩٥ فهذه القراءة اللغوية حاولت أن تنفذ إلى خصائص التعبير، لاعتمادها على الفقه بالعربية وأساليبها، وقد أنتجت مجموعة كتب التفسير اللغوي: كتب معاني القرآن وإعرابه ومجازه. النص القرآني نص خالد آمن الجميع بإعجازه وهذا النص

لا تُستَهلَكُ معانيه بقراءة واحدة، وإنما تتعدد قراءته بفعل تطور الحياة تاريخاً وفكراً ومناهج في الفهم والتحليل، فالنص الخالد لا يقاطع هذا التطور وإنما يحتويه في إطاره الدلالي وانفتاح أفقه، فإذا افترق في شيء فلا بد من سبب إما في فهم النص وإما في رؤية القارئ.

فقد قرأه اللغوي قراءة لغوية وقرأه الفقيه قراءة فقهية والفيلسوف قراءة فلسفية يحاول فيه معرفة أسرار الخليقة والكون ويسلك فيه مسلك الحكماء في الاستدلال والمنطق، وقرأه العارف الصوفي قراءة مواجيد تنطلق به إلى معان وأنساق غامضة في دلالة الحروف والكلمات، وهكذا لا تنتهي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، كما قال الإمام علي عليه السلام.

فكل قراءة فيها أفق احتوى تأويل القارئ من المذاهب والمدارس الفكرية الإسلامية، وإن كانت القراءة المذهبية خاصة وقراءات الرأي التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت تحاول أن تلوي العبارة القرآنية لتتوافق مع ما تراه وتعتقد سواء المعتزلة والأشاعرة أو أصحاب المذاهب الأخرى[1]، ولكن هذه القراءات

(١) الميزان ج:١ ص:٨ـ٩.

على اختلافها لم تكن في اختلافها تدخل دائرة خلاف الضد، فاختلاف الرأي في دائرة الدلالة القرآنية تكون في ضمن الحوار حتى لو كانت شديدة.

١ـ القرآن كتاب هداية:

القرآن الكريم عرّف نفسه بأنه هدى للعالمين ونور مبين وتبيان لكل شيء، كما ذكرت، ولقد اختلف الدارسون في وجوه إعجازه: فمنهم من عزا الإعجاز إلى الصرفة بأن الله تعالى صرف الهمم عن معارضته أو الإتيان بمثله كقول واصل بن عطاء (ت:١٨١هـ) وتلميذه إبراهيم النظام، ومنهم من عزا إعجازه إلى بديع بيانه وتركيبه وعلو عبارته وإحكام نظمه وتماسك آياته كما ذهب الجاحظ والمعتزلة وعبد القاهر الجرجاني والأشاعرة، ومنهم من عزا إعجازه إلى ما فيه من أخبار ونبوءات عن الغيب في مستقبل الأمور ثم بهدايته ومعارفه وباستقامة البيان فيه والإتقان في المعاني وما فيه من أسرار الخليقة وسنن الكون كما هو معجز ببلاغته وتأليفه كما هو قول الإمام أبي القاسم الخوئي والشيخ البلاغي[١].

---

(١) ينظر البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي ج:١ ص:١٠٦، مقدمة تفسير مجمع البيان للطبرسي.

فالقرآن كتاب هداية وعقيدة وليس كتاب تاريخ أو جغرافية أو علوم تجريب، أنزل على رسول كريم رحمة للعالمين في تنظيمهم الاجتماعي والأخلاقي، فالأفق القرآني يجب ألا يخرج عن دائرته، والله تعالى أغنى الإنسان بالعقل وفتح له آفاق التفكير في مراحل الحياة والتاريخ، فكلما توصل إليه هو من استعمال ذلك العقل سواء أكان ذلك في سبيل التقدم العلمي والأدبي والحياتي أم في وضع عراقيل ومعوقات التطور بسلوك سبيل الشر وإيجاد ما يشوه الحياة.

ليس غريباً أن يتعرض النص القرآني إلى مناسبات أو أصوات حاولت أن تحرف مفهومه العقائدي بتفسير أو تأويل أو ادعاء ما يمليه لون من التفكير مختلف في تفسيره أو تأويله أو قراءته، وكان لكل موقف مقابل وبقي القرآن الكريم قائماً محتفظاً بآفاقه وكيانه.

واستمرت القراءات لهذا النص يتلو بعضها بعضاً بمختلف مناهجها ولمختلف المذاهب على وفق تفكير علمائها وكان التأويل فيها لم يخرج عن دائرة القرآن العقائدية فهي وإن اختلفت لكن اختلافها اختلاف اتفاق لا خلاف افتراق، لذلك وجدنا تعدد الرؤيا والخلاف فيها مقبولاً لوحدة الأصل واختلاف الرؤية لا تعدد الأصل والرؤية، فهذا يعترض عليه، وكلما توغلنا في الزمن تتوغل

الخلافات في الرؤية والتفسير وتتضخم في كثير من الأحيان خصوصاً مع تراكم الفتاوى والتفسير للقضايا التي عاصرت أصحابها ثم تقدم الحياة والعلوم تقدماً بهر الفكر وأثّر في النظر إلى الثوابت في القيم والاعتقاد، فالحياة تتطور فتتغيّر ظروفها وتغيرها بتغير النظرة إلى حلول مشكلاتها، وهنا تختلف النظرات في تفسير هذا التراث المتراكم وفهمه كما تختلف المواقف، فهل نحسب كل قضية في عصرها وما كان لها من حلول وتفسير وعند تغيرها وتطور ظروفها نأتي لها بتفسير آخر موافق للعصر ومعارفه أم نكرر تجربة كانت وانتهت وانتهى زمنها وينبغي لها أن تتغير ظروفها فتتغير قراءتها نظراً لذلك؟

ب- النص القرآني والتطور العلمي:

إن قراءة النص القرآني وفهمه شغلت أذهان المسلمين وكلما اتسعت الحياة الفكرية وانتشرت العلوم بالاحتكاك مع الأمم الأخرى وترجمة الفلسفة والعلوم منها انعكس ذلك على جهد المفسرين في قراءاتهم. كان ذلك قديما حين ترجمت علوم اليونان والفرس إلى العربية، فكان منهج القراءة العلمية أو منهج التفسير العلمي يحمل النظريات العلمية وتطبيقها على القرآن بمحاولة التوفيق بين القرآن والعلوم، وهي محاولات قديمة حاولها ابن سينا

(ت:٤٢٨هـ) وأبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) والفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ).

وزادت المحاولة قوة في القرن الثامن عشر الميلادي عند تقدم العلوم في الغرب وسيادتها في الحضارة الأوربية ووصول آثارها العالم الإسلامي، فظهرت دعوة بعض العلماء المسلمين إلى تطبيق القرآن على العلوم الجديدة[1] وألف الطنطاوي جوهري (ت:١٨٦٢م) تفسيره (الجواهر في تفسير القرآن) فكان يستفيد من الجديد في العلم ونظرياته في مباحثه التفسيرية[2] ومن المفسرين من تطرق في محاولته استخراج كل العلوم من القرآن، لأنهم يعتقدون أن القرآن يحتوي كل العلوم، يذكرون الآيات التي توافق في ظاهرها القوانين العلمية ويتدبرون تأويل ما لا يتفق مع تفسيرهم، لذلك حاولوا استخراج علم الهندسة والحساب والطب والهيئة والجبر والمقابلة... من القرآن[3].

(١) ينظر مناهج التفسير واتجاهاته، محمد علي رضائي ص:٢٠٦ـ٢٠٩.

(٢) ينظر الجواهر في تفسير القرآن ج:١ ص:٨٤ـ٨٩، المصدر السابق ص:٢١٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج:٢ ص:١٨١، الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الخامس ص:٢٧، مناهج التفسير واتجاهاته ص:٢٤٦.

وفي النصف الأول من القرن العشرين ظهر دارسون ذهبوا هذا المذهب وذكروا في بحوثهم ما استشهدوا به من تأويل كثيراً ما يبعد كلامهم عن منطق التفسير الذي غايته بيان مفهوم النص. فأمين الخولي قال: ((هو تفسير يذهب قائله إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرى في القرآن ميداناً يتسع للعلم الفلسفي والإنساني في الطب والتشريح والجراحة والفلك والنجوم...))[1].

وكان على هذ المنهج عبد الرزاق نوفل بمصر من مؤلفاته (القرآن والعلم الحديث) وكذلك مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) قد ادعى الإعجاز العلمي للقرآن.

ولعلماء المفسرين موقف آخر من التطرف في قسر الآيات في تأويلها فالسيد الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) جعل هذا الطريق في البحث أحرى به أن يسمى تطبيقاً لا تفسيرا...

وقال: ((وقد نشأ في هذه الأعصار مسلك جديد في التفسير وذلك أنّ قوماً من منتحلي الإسلام إثر توغّلهم في العلوم الطبيعية وما يشابهها المبتنية على الحس والتجربة مالوا إلى مذهب الحسيين

(١) مناهج التجديد ص:٢٠٤، ٢٨٧.

من فلاسفة أوربا سابقاً. فذكروا أن المعارف الدينية لا يمكن أن تخالف الطريق الذي تصدقه.. ولا بد من تأويل الآيات المخالفة لها، بل إنهم طبقوا القوانين المادية حتى على المعاد، وقالوا بأن الروح مادية ولها خواص مادية، وإن النبوة نبوغ اجتماعي خاص تُبْنى قوانينه على الأفكار الصالحة)).

وأنكروا تفسير القرآن على الطريق العقلي (أي ما قام به المفسرون السابقون) الذي أبطله العلم، فلا بد أن يفسر القرآن بالعلم فقط[1].

وكذلك موقف آية الله معرفة قال: ((إن الشريعة ليست علوماً طبيعية والقرآن ليس كتاب علم وقد بيّنت الإشارات العلمية بجانب المطالب الأصلية (الحكمة، الهداية، التربية، الإرشاد..) بصورة إجمالية يدركها الراسخون في العلم.. إن العلوم غير قطعية والقرآن قطعي.. فيمكن أن نفهم مطلباً من بعض الآيات في ضوء الكشوف العلمية، ولكن لا نقول: إنّ الآية تؤكد هذه المسألة بصورة قطعية، فالقطع تحميل للقرآن ما هو غير جائز شرعاً))[2].

(١) الميزان ج:١ ص:٨٠٧.

(٢) مناهج التفسير ص:٢٢٤.

فلا بد إذن من أن نحذر من تحميل النظريات العلمية على القرآن لاستخراج العلوم منه، بل ينبغي لنا استخدام العلوم التجريبية وسيلة لخدمة التفسير، ليكون التفسير العلمي من أدلة إعجاز القرآن، فقد استدلوا بآيات منه على الإعجاز العلمي للإشارة إليها قبل التوصل إلى معرفتها بقرون مثل حركة الشمس وجريانها(١) وقوة الجاذبية(٢) ومراحل خلق الإنسان(٣) وغير ذلك مما وردت إشارات في القرآن الكريم.

ج- نقطة الافتراق في العصر الحديث:

لا أحد له وعي يرفض التطور والحداثة، سوى المتحجرين، ولكن التطور العلمي كيف يكون وكيف يؤخذ؟

لقد خطا الغرب خطوات واسعة في تطوره العلمي بعد اختراع وسائل الطباعة في القرن الخامس عشر(٤) ثم الثورة الصناعية ثم ظهور فلاسفة كبار كانت انتصار حركتهم الفكرية على جمود

---

(١) يس:١٨.

(٢) الرعد:١٢. لقمان:١٠.

(٣) الحج:١٥. المؤمنون:١٢، ١٤.

(٤) ينظر تاريخ الطباعة في الشرق العربي، د. خليل صابات ص:١٣، دار المعارف بمصر ط:٢.

الكنيسة التي حاربت حرية الفكر واصطدمت مع العلم، وما زالت مقولة غاليلو جارية حين حكمت عليه الكنيسة لمخالفته الكنيسة في نظرية دوران الأرض وجريانها إذ قال: سأموت لكن الأرض تبقى تدور حول الشمس[1].

إذ كانت الكنيسة متمسكة بنظرية بطليموس قرونا: بأن الأرض مركز ثابت والشمس تدور حولها.

فكانت الثورة علمية في مجالات الحياة والفكر وثورة في المناهج ومنها علم اللغة ونظرياته المختلفة في اللغة والأدب.

وقد انفتح العالم العربي والإسلامي على الغرب ومنجزاته في القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين فظهرت دعوات لدى أجيال الشباب للأخذ بأدوات الغرب الحضارية في الحياة المادية والفكرية، ومنها تسربت إلى دراسة القرآن فكانت تيارات ثلاثة من الكتّاب والمفكرين تجاه الجديد من أدوات الغرب ونظرياته: أحدها تمسك بالتراث ودافع عنه للحفاظ على صوت الأمة وخصائصها، والتيار الثاني دعا إلى الأخذ دون توقف أو حرج بأسباب الحضارة ونبذ وتسفيه ما هو إسلامي من التراث، والتيار

(١) ينظر كتاب (قراءة في تعدد القراءات) علي أحمد الكربابادي ص:٣٠.

الثالث كان يدعو إلى الإفادة من الجديد في أدوات النقد واللغة، وكذا كان في قراءة النص القرآني تحت عنوان محاولة تفسير الشريعة الإسلامية تفسيراً يتلاءم ومتطلبات العصر.

ففي خلال القرن العشرين وخصوصاً ثلاثينياته وأربعينياته ظهرت دعوات تنويرية تدعو للأخذ بأسباب الحضارة الغربية، والذي دفع إلى ذلك التخلف الحضاري الذي عاشه الشرق شمال أفريقيا وبلاد الشام والعراق وما جاورها من عهود الاستعمار والتبعية، فتوالى مجموعة من الكتاب من أربعينيات القرن العشرين كل يحمل مشروعاً في إعادة دراسة قضايا خطيرة أهمها التراث والوحي واللغة[1].

ظهر نصر حامد أبو زيد ومحمد عابد الجابري ومحمد شحرور وعبد الكريم شروس وأدونيس وطيب تيزيني وجلال صادق العظم وأركون وغيرهم.

وقد ظهرت دراسات تمحورت حول مبدأ قدسية النص القرآني التي لا يحدها فهم بشري، وهي قدسية تتجلى أكثر فأكثر بتطور الفكر الإنساني واتساع دائرة معارفه[2] فقد نشرت عشرات

(١) ينظر النص الديني والتراث الإسلامي قراءة نقدية، احميدة النيفر ص:٣٤٩ـ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق ص:١١٥.

الكتب ومئات المقالات والبحوث التحليلية وقد استطاع النص القرآني أن يبقى النص الذي يوليه الباحثون العناية ويحتفظ بمكانة المرجعية في المنظومة الثقافية بالرغم مما شهدته المجتمعات من تحولات في علاقاتها بالمقدس طيلة الفترة الحديثة[(١)].

من تلك الدراسات:

مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد.

النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس.

النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني.

في قراءة النص الديني، عبد المجيد الشرفي وآخرون.

الصراطات المستقيمة، عبد الكريم سروش.

لقد تناولوا الوحي في القرآن الكريم مستندين في تأويلهم إلى التراث الصوفي والعرفاني في دعم نظريتهم في بشرية الوحي. وبهذا قال حامد أبو زيد: ((إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم الخيال معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية المخيلة الإنسانية التي تكون في الأنبياء بحكم الاصطفاء والفطرة أقوى منها عند مَن سواهم من البشر، وإذ

(١) المصدر نفسه ص:١٦٧.

كانت فاعلية الخيال عند البشر العاديين لا تتبدى إلا في حالة النوم.. فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء.. فالنبي يأتي دون شك على قمة الترتيب يليه الصوفي العارف ثم يأتي الشاعر..))(١).

كما قال سروش: ((إن الوحي إلهام وهو التجربة التي يخوضها الشعراء والعرفاء وإن كان النبيّ يخوضها بدرجة أرفع وأسمى))(٢).

وقال أيضا: ((لو لم نكن نعتقد بأنه نبي لكنا نقول: إن كلماته هذه نابعة من قوة الخيال المتوافرة لدى جميع الأفراد))(٣).

وبذلك تفرض إشكالية ألسنية وأنثروبولوجيا للوحي، فهو ظاهرة لغوية قد كتبت بحروف لغة بشرية، لذلك يمكن أن تنطبق

(١) مفهوم النص ص:٤٩.

(٢) مجلة نصوص معاصرة ـ العددان الخامس عشر والسادس عشر ص:١٢.

(٣) بسط التجربة النبوية ص:٢٢٦ ترجمة أحمد القبانجي، بيروت ٢٠٠٩.

وينظر: دلال النص الديني في ضوء بشرية الوحي عند سروش ـ الدكتور باسم عبد الحسين، وهو أطروحة دكتوراه ـ جامعة البصرة ٢٠١٤م ص:٢١٨ـ٢١٩.

عليها قوانين التفسير والتأويل[1] الذي يغيب فيه صاحب النص ثم نظرية التلقي والتفكيك التي تنفي عن النص القرآني الإعجاز فكل قراءة لديها خاطئة.

لذلك لا تمسك في النتيجة وضوحاً للوحي. هل القرآن وحي الله لفظاً ومعنى أم هل الصياغة والترتيب من صنع النبي[2]، فأركون اعتبر القرآن جهداً ذاتياً لم يحدد جهد من؟[3]

وتناولوا القرآن والتاريخية، فدرس المحدثون التاريخية، والقرآن الكريم على أن القرآن نزل في ظرف زمني وينتهي بنهايته، فلا معنى إذن للقداسة، فأركون يصرح قائلاً: ((البحث التاريخي الحديث يثبت لنا أن القرآن مرتبط بظروف عصره وبيئته أي بيئة الجزيرة العربية وخاصة منطقة الحجاز في القرن السابع

(١) ينظر مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد ص:٣١، ٣٢، ٤٠، ٤٢، الإسلام أوربا الغرب، أركون ص:٢٠. القراءة الأركونية، أحمد فاضل السعدي ص:٢٤٤.

(٢) ينظر مفهوم النص لأبو زيد، (مفهوم الوحي) ص:٣١.

(٣) القراءة الأركونية ص:٤٢٠، مفهوم النص، نصر حامد ص:٤٩ـ٥٢.

الميلادي، فألفاظه ومرجعياته الجغرافية والتاريخية تدل على ذلك))[1].

وكذلك تحدث نصر حامد عن الرسول محمدﷺ المستقبِل الأول للنص، كان ابن المجتمع ونتاجه نشأ في مكة يتيماً ـ تاجر كما يتاجر أهل مكة، سافر معهم وشاركهم حياتهم ثم يستدرك قائلاً: ((وليس معنى ذلك بأن محمداً ابن الواقع ونتاجه أنه نسخة كربونية من صورة العربي الجاهلي الذي أعيد رسمها في العصور المتأخرة..))[2].

ثم يفصّل الحديث في أول سورة تلقاها وفي الخلاف. أهي سورة العلق أم المدثر؟ وحيرة رسول الله في تلك اللحظات وحيرة زوجته خديجة معه واصطحابه إلى ورقة بن نوفل، وهو أحد المتحنفين، ويذكر احتمال الزيادات في رواية أول نزول عليهﷺ ساهمت ((بتصور وجود خطي سابق للنص في اللوح المحفوظ كل

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص:١٤.

(٢) ينظر مفهوم النص ص:٥٩، ٦٠ وما بعدها.

حرف بقدر جبل قاف، في تكريس تصور للنص يتباعد به عن الواقع الذي أنتجه والثقافة التي تشكل من خلالها..))[1].

ونأتي إلى سروش ونظريته في (تعدد القراءات) أي التعدد والتنوع في الثقافات والأديان والتجارب البشرية والبلورالية، ومقالته في الصراطات المستقيمة، وعدم الاعتقاد بوجود صراط مستقيم. وهو كغيره من المحدثين العرب يحمل الحداثة الغربية وما تنطوي عليه من أفكار مطبقاً المنهج اللساني ومنهج التأويلية (الهرمنيوطيقا) على النص القرآني، وقد نقل تجربة الغرب المسيحي في صراعاته الدينية في القرون الوسطى، فكانت ردة فعل زامنت عصر النهضة وما يسمّى بعصر التنوير[2] ودامت النزاعات الدامية بين الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية سنين حتى طرح المعنى الذي ينسجم مع تعدد القراءات في تدوين جان هيك ١٩٢٢م وهو متكلم بروتستانتي للإلهيات المسيحية. كان مفاده: إن الكاثوليك على حق وكلامهم مقبول وديانتهم صحيحة، والبروتستانت على حق وكلامهم مقبول

(١) السابق ص:٦٦، ٦٧ جبل قاف: وهو جبل أسطوري يحيط بالأرض من جميع نواحيها وأطرافها في التصور القديم. (البرهان في علوم القرآن ــ للزركشي ج:١ ص:٢٩١، معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ج:٤ ص:٢٩٨).

(٢) ينظر كتاب قراءة في تعدد القراءات، علي أحمد الكربابادي ص:٣٢.

ودياناتهم صحيحة، وإنه يمكن قبول كل هذه الأفهام الدينية في عرض واحد، لأن للنصوص المقدسة أكثر من معنى واحد وكلها معتبرة، وهذه النظرية يعبر عنها (بالبلوراليزم)[1].

أنقل هنا ما كان من احتدام الصراع بين القديم والجديد في العلم والثقافة في الربع الثاني من القرن العشرين إذ كان أصحاب الحداثة ومؤيدوه يدعون إلى نقل حداثة الغرب بحذافيرها ويرفضون التراث، لأنه يمثل التخلف عندهم ويقابله التمسك بالتراث وإحيائه، أما الاتجاه الثالث فهو الداعي إلى الإفادة من حداثة الغرب وتطور مناهجهم لتوظيفها في إنشاء حداثة عربية، فدعاة الحداثة الذين حملوا إلينا الحداثة الغربية وما تنطوي عليه من أفكار ومبادئ قد أخفقوا:

أ: في إنشاء حداثة عربية حقيقية، لأنهم لم يكونوا أصلاء فيما حملوا وادعوه لأنفسهم تلك النظريات والمناهج، كما كانت جملة من مبادئ قراءات القرآن منقولة وأنهم تأثروا بها بالفكر الغربي، فهم قد استخدموا مناهج وأدوات جاهزة في تحليلهم لتاريخ الإسلام[2].

(١) ينظر تفصيل ذلك في كتاب قراءة في تعداد القراءات ص:٣٢ـ٣٥.

(٢) ينظر الممنوع والممتنع نقد الذات، علي حرب ص:١٢٦، ١٢٧.

ب: كما لم يستطيعوا تقديم مصطلح نقدي يتناسب وواقعنا الثقافي، ولم يستطيعوا تنقية المصطلح الوافد المنقول مما علق به من ثقافة غربية[١].

لذلك كانت أعمالهم بعيدة عن المتلقي العربي، فتحولوا إلى نخبة بينها وبين القارئ فجوة، وصارت كتاباتهم طلاسم وشفرات غامضة، ولو كانت كتاباتهم ومصطلحاتهم نابعة من كياننا الحضاري لكان الأمر غير ذلك، وشعورهم بهذه الفجوة بين كتاباتهم وبين القارئ لعدم انسجام أفكارهم والمادة الإسلامية المدروسة دفعهم لاتهام القارئ بالجهل والتخلف، لذلك دفعت أركون مثلاً إلى القول: إن الثقافة الحديثة تجعلنا نفورين من الموضوعات المؤسسة للأديان التوحيدية كالخطاب النبوي والوحي[٢] كما دفعت أدونيس ومن على منهجه أن ينكروا أن لهم قراء يفهمون ما يكتبونه فنصوصهم تحتاج إلى قراء أعلى ثقافة ليفهموا طلاسمهم وغموضهم.

(١) المرايا المحدبة، عبد العزيز حمودة ص:٥٤.

(٢) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ص:٢٦٩، القراءة الأركونية للقرآن، السعدي ص:٣٨٨.

أعتــرف بــأني لســت رافضــاً الحداثــة والتقــدم العلمــي والاجتماعي، ولست ممن تربّى في نفسه إحساس رفض الـرأي الآخر. فلا يعرف التطور حتى يتخلص في كيانه من كره الآخر، لكنــي أدعـو لحداثـة تعبـر عـن ملامـح شخصـية الأمـة لا حداثـة مستنسخة من عالم آخر تفرض على أمتنا، ولا أرى ضيراً الكتابة في أي الموضوعات وبأي المناهج عندما يكون الكاتب مؤمناً بما يكتب وهادفاً في كتابته وإلا فما فائدة الكتابة والكتاب إن لم يكونوا أصلاء في إنتاج ما ينمي حضارة أمتهم؟

مصادر البحث

١. الإسلام أوربا الغرب - محمد أركون، ترجمة هاشم صالح ط:١، دار الساقي، بيروت (١٩٩٥م).

٢. تاريخ الطباعة في الشرق العربي ــ د. خليل صابات، دار المعارف بمصر (١٩٦٦م).

٣. البرهان في علوم القرآن ــ بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٨).

٤. الجواهر في تفسير القرآن ــ الطنطاوي الجوهري، دار الفكر (د.ت).

٥. جواهر القرآن ـ أبو حامد الغزالي، المركز العربي للكتاب، بيروت، (د.ت).

٦. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح ط:٢ بيروت، دار الساقي (٢٠٠٢م).

٧. القراءة الأركونية للقرآن ــ أحمد فاضل السعدي ط بيروت (٢٠١٢م).

٨. قراءة في تعدد القراءات ــ علي أحمد الكربابادي، دار الصفوة، بيروت (٢٠١٠م).

٩. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة (٢٠٠١م).

١٠. معجم البلدان ــ ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت (١٩٩٥م).

١١. المرايا المحدبة ــ عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة (٢٣٢) الكويت (١٩٩٨م).

١٢. مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن ــ نصر حامد أبو زيد ط:٤، المركز الثقافي العربي، بيروت (١٩٩٨م).

١٣. الممنوع والممتع نقد الذات المفكرة ــ علي حرب ط:٤ المركز الثقافي العربي، المغرب (٢٠٠٣م).

١٤. مناهج التجديد ــ أمين الخولي.

١٥. مناهج التفسير واتجاهاته ــ محمد علي رضائي، تعريب قاسم البيضاني ط:٣ بيروت (٢٠١١م).

١٦. الميزان في تفسير القرآن ــ العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٧. النص الديني والتراث الإسلامي قراءة نقدية ــ احميدة النيفر ط:١ دار الهادي (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

الفصل الرابع
إشكالية وجود المُعرّب في القرآن بيـــن اللغويين والأصوليين [1]

توطئة

الحمـد لله ربِّ العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى أشـرف المرسـلين، سـيدنا محمـد المبعـوث رحمـةً للعـالمين، وعلـى آلـه الطاهرين، وصحبه المنتجبين، والتابعين، ومـن تبـع هـداهم واقتفـى أثرهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين والعاقبة للمتقين.

وبعد: فإن كان المنطـق الصـوري الأرسـطي العلامـة الفكريـة المميزة للحضارة اليونانية ،فإن علم أصول الفقه هو أحد العلامـات الفكرية للحضارة الإسلامية ، وأنّه إبداع إسلامي أصيل لـم يسـتعره المسلمون من بيئات أخرى ، وهو يتصـف بدقـة مباحثـه ، وصـرامة قواعـده ؛ لأنّ الاسـتدلال علـى الأحكـام مشـروط بوصـف الدقـة والضبط ، إذ سبر العلماء أغوار هذا العلم ، وأصـبح المنطلـق لفهـم

(١) شاركني في كتابة هذا البحث الدكتور جاسم الترابي ونشـر فـي مجلـة المَخْبر – جامعة بسكرة الجزائر العدد ١٢ ٢٠١٢م.

التراث الإسلامي ، سواء على مستوى بنية هذا التراث الإسلامي ومكوناته ، أم على مستوى نموه وتطوره [1].

هذه المهام التي اضطلع بها علم الأصول جعلته يحتل مكانة مرموقة بين العلوم الإسلامية، وتظهر مكامن الأهمية في كونه الموصل إلى معرفة الحلال والحرام في الحوادث والنوازل المتجددة التي لا نهاية لها إلى قيام الساعة فهو (عماد الاجتهاد وأساسه فيمكن بواسطته نصب الأدلة السمعية على مدلولاتها، ومعرفة كيفية استنباط الأحكام الشرعية منها)[2].

وقد بات عند القدامى والمحدثين أنَّ علم أصول الفقه يحتاج في استنباط قواعده الكليّة، والنّظر في الفروع وردّها، إلى الكليّات، إلى علوم أخرى، مثلَّت ركيزة في فهم النوازل وملابساتها، ومن أهم هذه العلوم وأسبقها زمناً علوم اللغة العربية ؛ لأَنَّها العلوم التي أسهمت في فهم النص القرآني ، وفي دلالات الألفاظ على المعاني ، وهو ما دعا العلماء إلى اشتراط المهارة في هذه العلوم، حتى يتوصّل المُجتهد إلى فهم الأحكام الشرعية على الوجه الصحيح ، إذ أصبحت معرفة اللغة المعيار في صحة ملكة الاجتهاد، وفي هذا

(١) ينظر: معالم الفكر الأصولي الجديد، مُحسن الأراكي: ١١- ١٢.

(٢) أصول الفوائد الغرويّة ، محمد باقر القمي: ٣٦.

المعنى يقول أبو البقاء ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): (أصول الفقه مرتبط بمعرفة العربية ؛ لأنّه يبتني على معرفة الكتاب والسُّنة ، ولا يُعرفُ معناهما إلا بمعرفة العربية ، ولذلك كانت شرطاً في صحة الاجتهاد)[١].

الأصوليون يرون أنَّ أصول الفقه منطق الفقه، وإذا كان المنطق مجموعة القوانين التي تضبط عقل المفكر وتعصمه من الخطأ، فإن أصول الفقه هي مجموعة القوانين التي تضبط عقل الفقيه المستنبط وتعصمه من الخطأ في عملية الاستنباط.

إنّ الأصوليين أولوا عنايتهم واهتمامهم لمباحث اللغة، ولم يتوقف اهتمامهم عند الإفادة من دراسات علمائها، وربّما اعتنوا في فنّهم بما أغفله أئمة اللغة العربية، (حتى خالفوهم في بعض الأحيان، وكان يصلون إلى مستوى من التعمّق في أسرارها ومراميها ودقائقها لم يكن متحققاً لبعض النحويين واللغويين)[٢].

(١) شرح المفصل، ابن يعيش: ١٠/١.

(٢) دراسات أصولية : ٧٨.

ويؤكدّ تاج الدين السُّبكي:(أنَّ الأصوليين دققوا في فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإنَّ كلام العرب متسع جداً والنّظر فيه متشعبٌ)[١].

مشكلة البحث

لم ينل موضوع من الموضوعات المتعلقة بفقه اللغة من الاهتمام الذي خلَّف وراءه تراثاً هائلاً من أقوال المفسرين واللغويين والأصوليين، مثلما نال موضوع قضية المعرّب في القرآن، كونه موضوعاً مثيراً للجدل، ومن بقائه غير محسوم بيقين علمي، وقد كان للفكر الأصولي إسهامات متميزة على مستوى إبداء الآراء وعلى مستوى توجيه بعض الآراء.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في:

- أنّه يجمع شتات الآراء المنسوبة للأصوليين واللغويين في قضية وجود المُعرّب في القرآن.
- إبراز جهود الأصوليين وإسهامهم الواضح والمتميز في دراسة قضية المعرّب في القرآن من جوانبها المختلفة.

(١) الإبهاج في شرح المنهاج ، ابن السُبكي :١١/١.

- إبداء موقف من هذا الخلاف الدائر في قضية وجود المعرب في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة

- من تراثنا اللغوي القديم ما يُسمى في العربية بالدَّخيل، طه باقر، طُبع سنة (١٩٨٠م).

- موسوعة حلب المقارنة، خير الدين الأسدي، طُبع سنة(١٩٨١م).

- أثر الدَّخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو ،طُبع سنة(١٩٨٢م).

- حركة التعريب في العراق، د. أحمد مطلوب، طُبع سنة(١٩٨٣م).

- مُعجم المعرَّبات الفارسية في اللغة العربية، د. محمد التونجي، طُبع سنة(١٩٨٨م).

- التعريب في التُراث اللُّغوي مقاييسه وعلاماتُه، د. عبد العال سالم مكرم، طُبع (١٩٨٩م).

- المعرَّب في اللغة، فارس السيد حسن السلطاني، رسالة ماجستير (١٩٩٦م).

– هـل فـي القـرآن أعجمـي؟ د. علـي خشـيم، طُبـع سـنة (١٩٩٧م).

– المعرَّب في القـرآن الكـريم، دراسـة تأصـيلية دلاليـة، د. محمد علي بلاسي، طُبع سنة(٢٠٠١م).

– المعربَّ والدَّخيل في المعاجم العربية، جُهينـة نصـر علـي، طُبع سنة (٢٠٠١م).

– المعجـم الـذهبي فـي الـدَّخيل علـى العربـي، د. محمـد التونجي، طُبع سنة (٢٠٠٤م).

– المعجم المفصَّل في المعرَّب والدَّخيل، د.سعدي ضناوي، طبع سنة (٢٠٠٤م).

– المعـرَّب والـدَّخيل فـي اللغـة العربيـة وآدابهـا، د. محمـد التونجي، طُبع سنة (٢٠٠٥م).

– المعرَّب الصوتي في القرآن الكريم، دراسة ومعجم، رسالة ماجستير غير منشورة، إدريس سليمان مصطفى،٢٠٠٦م.

تعريف المُعرّب عند اللغويين

من الإشارات الأولى لمفهوم المُعرّب ما أشار سيبويه إليه فـي كتابه حين قال: (اعلمْ أنّهم مما يغيّرون من الحروف الأعجميـة مـا

ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه)[1].و(سمّاه سيبويه وغيره إعراباً ــ وهو إمام العربية ــ فيُقال حينئذٍ "مُعرَّب" و"مُعرَبٌ")[2].ويقفنا هذا على أمرين لافتين للنّظر، أحدهما: عدم وجود فرق بين المعرّب والمُعرَب عند سيبويه؛ ويؤيِّد ذلك قول أبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) (الإعراب والتعريب معناهما واحد)[3] أما الأمر الآخر: فسيبويه مثلاً تحدّث في عدد من الألفاظ المعربة من خلال حديثه عن أبنية الألفاظ العربية، ولم يكن يقصد سيبويه توضيح المفهوم.

ولعلَّ أول من أورد تعريفاً أقرب للمعنى الاصطلاحي أبو نصر الجوهري(ت٣٩٨هـ) حين قال: (تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفّوه به العرب على مِنهاجها، تقول: عرّبته العربُ، وأعربه أيضاً)[4].

وقال أبو منصور الجواليقي(ت٥٣٩هـ): (ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي)[5]، وذهب إلى مثل هذا الشهاب الخفاجي

(١) الكتاب: ٣٠٣/٤.

(٢) قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدّخيل، المُحبي : ١٠٥/١.

(٣) لسان العرب : مادة (عرب) ٥٨٨/١.

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري: مادة (عرب) ١٠٨/١.

(٥) المُعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المُعجم ، الجواليقي: ٥١.

فقال: (اعلم أنَّ التعريب نقل اللفظ من الأعجمية إلى العربية)[1].

وقد عرّفه السيوطي(ت٩١١هـ) بقوله: (هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها)[2] ويُلحظ في هذه التعريفات أنَّ معيار التعريب هو الاستعمال، وأنْ تكون المعاني، لا الألفاظ فحسب ،من لغة أخرى .وهو قيدٌ مهمٌّ جداً في معرفة المعرّب، والدخيل، وهو يرادف المعرّب عند العلماء.

وقال محمد علي التهانوي (ت١١٥٨هـ):(المعرَّب عند علماء العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع)[3].

وعلى ذلك يمكن القول إنَّ هنالك اتّفاق بين علماء العربية على أنَّ ما دخل اللغة العربية من اللغات أخرى يعدُّ معرَّباً، وخصصه الجوهري بما تكلّمت به العرب من الأعجمي على نهجها وأسلوبها، كما يفيد كلام ابن كمال باشا (ت٩٤٤هـ) عن التّعريب بأنّه: (استعمال الكلام الأعجمي على منهاج العرب. يقول: إنَّ العرب

(١) شفاء الغليل، الخفاجي :٤٤.

(٢) المُزهر ، السيوطي: ٣٤١/١.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي : ٩٤٤/٣.

كما تستعمل الكلمة الأعجمية وتجعلها جزءاً من الكلام بعد التعريب كذلك تستعملها وتجعلها جزءاً منه قبله)[1].

تعريف المعرّب عند الأصوليين

اعتاد الأصوليون على أن يبينوا مفهوم أي مصطلح يذكرونه قبل ذكر أحكامه؛ لأنَّ الحكم على شيء فرعٌ من تصوره، والتصور يكون بالتعريف. فقد عرّف تاج الدين السُّبكي المعرّب بقوله: (لفظ غير علم استعمله العرب في معنى وُضع له من غير لغتهم)[2]، وإنّما وضع السُّبكي قيد(العلم) ليخرج الأعلام كإبراهيم وإسماعيل، ولدفع إشكال مفاده أنَّ هذه الأسماء من الصعوبة بمكان إثبات عربيتها، فكان وضعه هذا القيد ليتساوق مع مذهبه القائل بعدم ورود المعرّب في القرآن.

ومن الأدلة التي ساقها الأصوليون المؤمنون بهذا المسلك أن الأعلام بحسب وضعها العلمي ليس مما يُنسب إلى لغة دون لغة، إذ المقصود منها تعيينُ المسمّى مطلقاً فلم توضع بأصل اللغة بل

(١) رسالة في التعريب ، كمال باشا : ٢٣.

(٢) شرح جمع الجوامع ، جلال الدين المحلي : ٣٢٦/١.

وضعت بأوضاع متجددة، والكلام في الأوضاع أصلية[1]، ولكن السُّبكي الذي شرح به منهاج البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) أدخله في المعرّب أي فيسمى به فيكون السُّبكي ممن قال بوقوع العلم الأعجمي في القرآن كما قال جلال الدّين المحليُّ (ت٨٦٤هـ)[2]، إذن فقد اتفقوا على أن العلم الأعجمي مستعمل وواقع في القرآن الكريم[3]، ولكن السُّبكي في جمع الجوامع لم يدخله في مفهوم المعرّب. والذي يبدو أنّه استقرّ عليه بعد أن اختار خلافه في الإبهاج في شرح المنهاج[4].

أمّا الزركشيُّ فقد أدخل العلم في المعرّب إذ قال: (المعرّب بتشديد الراء وفتحها ما أصله أعجمي ثم عُرّب أي استعمله العرب على نحو استعمالها لكلامها)[5]. وكذلك أدخله الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) إذ قال في تعريفه: (المعرّب لفظٌ وضعه غير العرب ثم

(١) ينظر : حاشية التفتازاني : ١٧١/١، وتقريرات الشربيني على شرح جمع الجوامع : ٣٢٧/١.

(٢) ينظر: شرح جمع الجوامع ، جلال الدين المحلي ١/ ٣٢٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٢٧.

(٤) ينظر: حاشية العطار على شرح جمع الجوامع : ١/ ٤٢٧.

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين الزركشي: ٢/ ١٧٠.

استعملته العرب بناءً على هذا الوضع)[1]. وهو عند ابن بدران الدمشقي: (وهو ما أصله أعجمي ثم عُرِّب أي استعملته العرب على نحو استعمالها لكلامها)[2].

المعُرّب بين الوقوع وعدمه في القرآن

لعلَّ الجدل الذي أثير حول فكرتي (عدم الوقوع المعرب وإثباته) يمثل الدائرتين الكبيرتين اللتين توزعت بينهما أراء الأصوليين واللغويين والمفسرين ويمكن عرض الآراء على النحو الآتي:

الرأي الأول: **عدم وقوع المعرَّب في القرآن الكريم**

انكر الكثير من العلماء وقوع المعرّب في القرآن ،قال جلال الدّين السيوطي:(اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن، فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه)[3]، فالشافعي (ت٢٠٤هـ) صاحب أول سفرٍ أصوليٍّ وهو (الرسالة) شدد النّكير على من يقول بوقوعه، إذ قال: (وقد تكلم في العلم مَنْ لو أمسك عن بعض ما

(١) شرح مختصر المنتهى الأصولي: ٦٠٩/١.

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، عبد القادر بن بدران : ١/ ١٩٧.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي : ٣٩٣/١.

تكلم فيه منه لكان الإمساكُ أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله، فقال منهم قائل: إنَّ في القرآن عربياً وأعجمياً، والقرآنُ يدلُّ على أنّه ليس في كتاب الله شيءٌ إلا بلسان العرب)[1]، وانتصر أبو عبيدة لهذا الرأي بالقول: (من زعم أنَّ في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول)[2] ونصَّ ابن جرير الطبري على عدم وقوع المعرّب بقوله: (إنّه جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم)[3]. وهو مذهب أبي حامد الأسفراييني الأصولي[4]، والباقلاني[5]، بل هو مذهب أهل العلم من الأصوليين والمحدثين[6]. واستدلّوا بالأدلة الآتية:

(١) الرسالة ، للشافعي : ٤١-٤٢.

(٢) ينظر : المُعرَّب ، الجواليقي : ٦.

(٣) جامع البيان في تفسير آي القرآن ، الطبري : ٨٠٥/١.

(٤) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه : ٢/ ١٧٣.

(٥) ينظر: المستصفى في علم الأصول، الغزّالي : ١٠٥/١، والبحر المحيط في أصول الفقه : ٢/ ١٧٠.

(٦) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي : ٥٠/١،وشرح المختصر، الاصفهاني :١٧٠/١،و البحر المحيط في أصول الفقه :٢/ ١٧٠.

الدليل الأول:

إنّ في القرآن الكريم آيات كثيرة تقطع بأنّه عربي، والقول بأن فيه من لغات العجم ينافي ذلك.

ومن هذه الآيات :قوله تعالى((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) [يوسف/٢] وقوله تعالى :((وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ))[الرعد/٣٧] وقوله تعالى: ((لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ))[النحل/١٠٣] وقوله تعالى:((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) [الشعراء/١٩٥] وقوله تعالى:((قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))[الزمر/٢٨] وقوله تعالى:((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ))[فصلت/٤٤] وقوله تعالى:((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ))[الشورى/٧] وقوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[الزخرف/٣].

وعدَّ الشيخ الطوسي نسبة العُجمة إلى القرآن تناقضاً، والتناقض على الله محال؛ لأنَّ التناقض باطل، والقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي هذا قال: (أنَّه لا يجوز

أن يكون في كلام الله وكلام نبيه تناقض وتضاد وقد قال تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)، وقال :(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)، ....، فكيف يجوز أن يصفه بأنّه عربي مبين، وإنّه بلسان قومه، وأنّه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء؟)[١].

ويمكن أن يُردَّ على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: ذكر أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) في تعقبّه لكلام الباقلاني(ت٤٠٣هـ): (إلا أنَّ هذا غير مرضيّ عندنا، فاشتمال القرآن على كلمتين أو ثلاث أصلها أعجمي وقد استعملها العرب ووقعت في ألسنتهم لا يخرج عن كونه عربياً)[٢]، وانتصر لقول الغزالي من الأصوليين ابن الحاجب والأسنوي والشوكاني[٣].

الوجه الثاني: أنَّ هذه الألفاظ القليلة بغير العربية لا تخرج القرآن عن كونه عربيا، فالقصيدة الفارسية لا تخرج عن فارسيتها بلفظة عربية توجد فيها[٤].

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: ٤/١.

(٢) المستصفى في علم الأصول: ١/ ١٠٦.

(٣) ينظر: شرح المختصر، الأصفهاني: ١٧٠/١، ونهاية السؤل :٢/ ١٥٥، وإرشاد الفحول، الشوكاني:٣٢.

(٤) ينظر: قصد السبيل فيما يتعلق في اللغة العربية من الدخيل: ١٧٠/١.

الدليل الثاني: حكي عن بعض الأصوليين بأنَّ تلقي استعمال اللفظة غير العربية منافياً مع فصاحة القرآن، لأنَّ اللفظ الأعجمي تنقصه الفصاحة، لعدم جريانها على النسق العربي في الهيئات والمواد[1].

وكان هذا الدليل مُعوَّل الفخر الرازي الاصولي حين يقول: (القرآن أنّما كان معجزاً لما فيه من الفصاحة العائدة إلى اللفظ وكأنّه قيل هَب أنَّه يتعلم المعاني من ذلك الأعجمي ألا أنَّ القرآن إنّما كان مُعْجزاً لما في ألفاظه من الفصاحة)[2].

ويمكن الردُّ على هذا الدّليل من أوجه:

الوجه الأول: وهذا لا ضير فيه مطلقا، ولا يقدح في عربية القرآن الكريم؛ إذ إنّ هذه الألفاظ القليلة لا تخرج القرآن الكريم عن عربيته. فهل تُغيِّر قطرة ماء مالحة عذوبة نهر جار؟!!

بل إنّ الله (جلت حكمته) خاطب القوم بلغتهم التي يتحدثونها ويفهمونها، سواء أكانت عربية أصالة أو تحويلاً. كما أن هذا دليل اتساع آفاق هذه اللغة العظيمة؛ إذ استطاع أصحابها أن يُطوِّعوا هذه الألفاظ التي تنحدر هي والعربية من أصل واحد،

(١) ينظر: مباني الأصول، محمد باقر السيستاني : ٥٩٩/٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٥/ ٣٥٠.

ويخضعوها لمِنهاجهم، ويجروا عليها قوانين لغتهم، حتى صارت تجاري ألفاظها في الفصاحة والبلاغة.

الوجه الثاني: أن هذه الكلمات عُرِّبت، وجرت عليها قوانين العربية، وطوَّعتها العربية لمنهجها في أصواتها وبنيتها؛ فصارت ضمن مفرداتها التي يستعملها العرب، وذلك قبل نزول القرآن بسنوات طويلة.

الوجه الثالث: إنَّ بعض المسميات لم يكن لها لفظ بديل في اللغة العربية كما في لفظ (استبرق) الذي يعني الديباج الثخين كما حكاه السيوطي عن بعضهم[1]. ولو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يأتوا بلفظة تقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا.

مما جَعَلَ أبو جعفر الطوسي(ت٤٦٠هـ) يعتذر لاستعمال بعض الألفاظ التي رآها دون فصاحة القرآن بإيرادها على وجه الحكاية عن آخرين، وذلك في كلامه على قوله تعالى ((مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا)) [البقرة ٦١]: (وإنّما ذكر الله تعالى هذه الألفاظ وإن لم تكن لائقة بفصاحة القرآن على وجه الحكاية عنهم). ولعلَّ

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١/ ٣٩٥.

مرجعه إلى عدم وجود بديل عنها، إذ لا يتقيد القرآن الكريم في مقام الحكاية بإيراد لفظ المحكي)[1].

الدليل الثالث: إنَّ وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم هو من باب التوارد والتوافق بين اللغات، قال أبو جعفر الطبري: (ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن الكريم أنها بالفارسية والحبشية والنبطية ونحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد)[2].

وقد أفرد الطبري في تفسيره مبحثا حول هذه المسألة تحت عنوان: القول في الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم[3].

وأورد الأصولي الزركشيُّ ما يدلُّ عن وضوح رأيه بأنَّ ما ورد من ألفاظ يُظنّ أنها معجمة هي من قبيل ُتوافق اللغات، ومن ذلك قوله: (ذهب القاضي إلى أنّه لا يوجد فيه من الالفاظ المعربة

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٢٧٥.

(٢) تفسير الطبري ٨/١، وينظر: الإتقان في علوم القرآن:١٠٥/٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٥/١-٨.

مما أتفق فيه اللغات، ويحثُّ القاضي عن أصول أوزان كلام العرب وردَّ هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية)[1].

ومال إلى هذ الرأي الأصولي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥هـ)[2].

ويردُّ عليه من وجوه:

الوجه الأول: هذا تحكُّم لا دليل عليه.

الوجه الثاني: هل كان الذي قال ذلك متقناً للغات الأخرى حتى يُعتمد قوله؟

الوجه الثالث: تردُّ هذه الدعوى بما أُثر عن أبي بكر الأنباري(٣٢٨هـ): (وقال بعض المفسرين:(صُرْهُنَّ) معناه: قطِّعْ أجنحتهن. وأصله بالنبطية(صريه) ويحكى هذا عن مقاتل، فإن كان أُثِرَ هذا عن أحد الأئمة فإنه مما اتفقت فيه لغة العرب ولغة النبط؛ لأن الله (عز وجل) لا يخاطب العرب بلغة العجم؛ إذ بيَّن ذلك في قوله: (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)[3].

(١) البحر المحيط في أصول الفقه : ١/ ٤٤٩.

(٢) ينظر: إرشاد الفحول :٩١/١.

(٣) الأضداد، الانباري: ٣٨.

الوجه الرابع: ردَّ عضد الإيجي (ت٧٥٦هـ) هذا المقتضى بـ(مما اتفق فيه اللغتان كالصابون والتنور بعيد لندره مثله. والاحتمالات البعيدة لا تدفع الظهور ولا تقدح في الظواهر)[١]. ومراد قوله ان ما اتفقت فيه اللغتان لا تدفع ظهور خلافها مثل اختلاف اللغتين فيها ولا تقدح في الظواهر، وإنّما يدفع القطع ويقدح في الأدلة القاطعة والمدعى في هذا المقام الظهور لا القطع، وهو رأيٌ متقّبل.

الدليل الرابع: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جدا، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجِلَّة، وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح. قال الشافعي :(لا يحيطُ باللغةِ إلا نبيٌّ)[٢].

وهذا ما أكدّه ابن تيمية حين قال إنّ: (المشكاة والاستبرق والقسطاس هي أسماء عربية يجهلها بعض العرب ويعرفها البعض، وبه قال عامة الفقهاء والمتكلمين)[٣].

الدليل الخامس: ما ذكره السمعاني الأصوليُّ الشافعي من دليلٍ مفاده من أنَّ القرآن: (لو كان فيه من غير لسان العرب لأختلَّ

(١) شرح العضد : ٥٣.

(٢) الرسالة الشافعي: ١١٤.

(٣) المُسودة، ابن تيمية : ١/ ١٥٥.

التحدي ولم يثبت الإعجاز؛ لأنّه يكون تطريقاً في أن يقولوا: إنّ القرآن الذي جاء به يشتمل على لسان العرب وغير لسان العرب، ونحن لا نعرف الّا لسان العرب به يجزئ من قبل هذا القول إلى وهذا من الإعجاز)[1].

ويمكن القول إنّ السّمعاني اتّخذ قوله تعالى:(ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) [فصلت/٤٤])، تُكأةً استند إليها، ومُعوَّل في اختياره، وهو مردود من السيد ضياء الدين الأعرج الأصولي الإمامي حين يبين معنى الآية بالقول:(أأعجمي وعربي، معناه: أكتاب أعجمي ونبي عربي؟ وليس معناه: أبعضه أعجمي وبعضه عربي؟ بحيث يكون قطعه الله اعتراضهم المذكور بجعله عربياً بكلّيته)[2].

الرأي الثاني: **المثبتون لوقوع المعرّب في القرآن**:

عُرف هذا الرأيُ برأي الفقهاء والأصوليين، ومنهم: ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ووهب بن منبه، والجويني الأصولي، وغيرهم[3].

(١) ينظر: قواطع الأدلة في أصول الفقه : ١/ ٢٥٥.

(٢) مُنية اللبيب في شرح التهذيب ، ضياء الدين الأعرج: ٢١١/١.

(٣) ينظر: شرح جمع الجوامع ، المحلي: ٣٠٦/١.وشرح المختصر:١٧٠/١.

وحُجتهم:

الدليل الأول: استدلَّ ابن الحاجب على وقوع المعرّب في القرآن إجماع أهل العربية (على أنَّ نحو إبراهيم منع من الصرف للعجمة والتعريف)[1].

ويُورد على هذا الدليل ايرادات:

الإيراد الأول: نبَّه عليه ابن السُّبكي في كتابه الإبهاج بقوله :(وذلك لا يجديه شيئاً إذا كان محل الخلاف مقصوراً على أسماء الأجناس غير شامل للأعلام)[2].

الإيراد الثاني: ذهب بعضهم أنَّ الأسماء الأعجمية الواردة في القرآن الكريم عربية فقالوا في تسمية إبراهيم أنّه برئ من الدنيا وهمَّ في الآخرة[3]، وفي تسميته إدريس لكثرة دراسته الكتب[4]....الخ .

الإيراد الثالث: العلّة التي اشترطها النحاة لمنع الصرف غير مُسلَّم بها لشدة ضعفها، وفي ذلك يقول السهيلي (٥٨١هـ): (وهذا

(١) شرح المختصر، الأصفهاني: ١/ ١٧٠.

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي: ١/ ٢٨١.

(٣) ينظر: علل الشرائع:٨٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه:٥٤٦.

الباب لو قصَّروه على السماع ولم يعللوه بأكثر من النقل عن العرب لا تنفع بنقلهم، ولم يكثر الحشو في كلامهم، ولما تضاحك أهل العلوم من فساد تعليلهم حتى ضَربوا المثل بهم فقالوا: (أضعف من حجة نحوي)[1].

الدليل الثاني: إنَّ القرآن الكريم حوى علوم الأولين والآخرين؛ فلابدَّ من وقوع الإشارة فيه إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء؛ فاختير له من كلّ لغة أعذبها وأخفَّها وأكثرها استعمالا، وإن كان أصله بلغة العرب[2].

والظاهر أنَّ مُعوَّل الذين تمسّكوا بهذا الدليل ثلاثة مقتضيات:

المقتضى الأول: الاعتقاد بورود الأثر به عن بعض التابعين، قال السيوطي (ت ٩١١هـ): (وأقوى ما رأيته الوقوع ـ وهو اختياري ـ ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي مسيرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان. وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه)[3].

المقتضى الثاني: توهم دلالة النصوص القرآنية والنبوية عليه..

(١) ينظر: أمالي السهيلي، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي: ١٩-٢٠.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٣٩٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٤/٣.

أما القرآنية فهو ما وَرَدَ فيه من إرسال كلِّ نبي بلسان قومه، والقرآن منزل لجميع الأقوام، فلا بدَّ أن يكون فيه من كل لغة، قال السيوطي إنَّ (النبي (صلى الله عليه وآله) مرسل إلى كل أمة، وقد قال: ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)) فلا بدَّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو)[1].

وأمَّا النبوية فما وَرَدَ من أنَّ في القرآن (نبأ كل شيء) فلا بدَّ أن يكون فيه من أنباء سائر اللغات.

المقتضى الثالث: توقع أنَّ ذلك كمال للقرآن ، وكل كمال للقرآن فهو مُتصفٌ به لا محالة ، وإلا كان نقصاً فيه. وهذا نظير الاستدلال المذكور في الكلام عن ثبوت كل كمال لذات الباري تعالى شأنه[2].

ولعلَّ من أسباب تبني رأي احتواء القرآن على كل لسان محورين :

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٣/٣.

(٢) ينظر: مباني الأصول: محمد باقر السيستاني:٢/ ٦٠٦.

المحور الأول: دواعي العصبية ، بمعنى أنَّ كل قوم كانوا يرغبون في احتواء القرآن على شيء من لغتهم لينالوا بذلك فخراً واعتزازاً .

المحور الثاني: توثيق عرى الإسلام وبين الأقوام غير العربية ، فإن ذكر شيء من لغتهم في القرآن قد يطرح من قبلهم ليكونَ فخراً واعتزازاً بها، كما قد يكون طرح ذلك من قبل علماء العرب ليكونَ مُوجباً لتقريبهم وتأليف قلوبهم إلى الإسلام.

الدليل الثالث: ذكر شمس الدين الاصفهاني أنَّه(ثبت بالرواية عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء في إثباتهم كلمات كثيرة بلغات العجم في القرآن الكريم، كاستبرق فارسية للديباج الغليظ وقسطاس رومية للميزان ومشكاة هندية للكوة التي لا تنفذ)[(١)].

وأجاب عبد الرحيم الإسنوي (٧٧٢هـ) بأنَّ هذه الألفاظ ونحوها مما اتّفق فيها لغة العرب ولغة غيرهم أي وافق وضع العرب وضع غيرهم مثل الصابون والتنور[(٢)].

موقف ونتيجة من قضية المعرب

---

(١) شرح جمع الجوامع : ١/ ٣٠٦، وشرح المختصر: ١/ ١٧٠.

(٢) ينظر: نهاية السؤل: ٢/ ١٥٦.

ما يزيد من صعوبة البت في أمر المعرب والدخيل في العربية كونها قديمة مُوغلة في القدم ، فهي أقدم بكثير مما يزعم علماء اللغة والأدب ، لذلك يكاد يكون الجزم مستحيلاً عند بحثنا في كثير من الألفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من لغات العائلة الساميّة بأنَّ هذه اللفظة أو تلك مأخوذة من العبريّة أو الآراميّة أو البابليّة أو الحبشيّة أو غيرها، فلربما العكس هو الصحيح نظراً لقدم العربيّة ، ولعدم عثورنا على أي نص مكتوب أو مروي عن اللغة الساميّة الأم التي تفرعت عنها تلك اللغات واللهجات ، والعربية تعتبر أقرب بناتها شبهاً بها لما تفضي به نتائج علم اللغة المقارن[١] . لذلك لا يسعنا – هنا– الّا أن ننبه على ما حدث في كتابات العلماء من مبالغات في إلحاق ألفاظ عربية أصيلة بمصادر ساميّة أخرى، وهو أمر لم ينج من العلماء قديماً، وهم على مذهبين على ما ذكرنا.

أولهما: ينكر وجود القرآن الكريم، والآخر يقول بوجوده، فالمنكر وجود لغة غير لغة العرب في القرآن الكريم يرى (ليس من ألسنة الأمم أوسع من لسان العرب والقرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب وربما وافقت اللغة اللغات وأما الأصل والجنس فعربي لا

(١) ينظر : كلام العرب ، د. حسن ظاظا :٦٥-٦٦.

يخالطه شيء)[1]. وهذا المـذهب يعتمـد علـى مـا جـاء فـي القـرآن الكريم في ثلاث عشرة آية تؤكد أنّه نزل بلسان عربي مبين وفد مر ذكر ذلك.

أما المذهب الثاني فهو يذهب إلى وجود المُعرب كمـا رُوي في أصل الفاظ (الطور) بأنَّها جبل بالسريانية، والقسط والقسـطاس، العدل بالروميّة، أو أنَّ هذه الألفاظ تواردت في اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة والنبط بلفظ واحد[2].

وحكى ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بـن سـلّام: إنَّـه حكـى الخلاف ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء، والمنع إلى أهل العربيـة ثم قال أبـو عبيـد: والصـواب عنـدي مـذهب فيـه تصـديق القـولين جميعاً، وذلك أنَّ هذه الأحرف أصولها أعجميّة كمـا قـال الفقهـاء: إنّها سقطت إلى العرب فعرَّبتها بألسنتها وحوَّلتها عـن ألفـاظ العجـم

(١) كتاب اللغات رواية ابن حسنون :١٦.

(٢) سورة النحل:١٠٣، سورة يوسف ٣، سورة الرعد ٣٧، سورة الشعراء:١٩٥،سـورة الزخرف ٣، ينظر : هل في القرآن أعجمي ،د. علي خشيم٥، في التفسـير اللغـوي ،د. زهير غازي زاهد:٢٧.

إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب[١].

كان العلماء يشعرون بوجود ألفاظ معربة ، لكنها تختلف تفسيراتهم في نسبتها ، فكلام ابن عطية ينم عن وعي بذلك في حديثه عما كان من أثر احتكاك العرب بالأمم الأخرى وأثر ذلك في اللغة ، وكان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم مخالطة بسائر الألسن بتجارات وبرحلتي قريش وبسفر مسافرين كسفر أبي عمرو إلى الشام ... وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة ، فعلقت العرب بهذه كله ألفاظاً أعجميّة غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت في تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووضع بها البيان . فإن جهلها العربي فجهله الصريح بما في لغة غيره ، وكما لم يعرف ابن عباس معنى (فاطر) فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنَّها في الأصل أعجمية .لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه[٢].

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن :٣١١/١، والإتقان في علوم القرآن :٢٨٨/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن:٣٦٢/١.

أكبر الظن أن كل هذا الاضطراب في معرفة المعرب، إثباته مرة، وإنكاره مرة أخرى، سببه اعتقاد جمهور العلماء أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش[(١)]، فما خالف أو جاء بما ليس في لغة قريش فهو من غير لغة العرب ، والقرآن الكريم صرّح بنزوله بلسان عربي في أكثر من آية كما ذكرت ، فكان الاعتماد في نسبته على روايات من لم تكن له معرفة بالعربية القديمة وفروعها ، ودليل ذلك أن ابن عباس وعمر بن الخطاب ، وهما قريشان التبست دلالة كلمات عليهما في القرآن[(٢)].

إنَّ عربية القرآن هي العربية المشتركة ازدهرت ونمت قبل نزوله، بعد مرورها بمراحل من التطور وتداخل اللهجات وتوحدها أو تقاربها، لذا تميزها القرآن الكريم ونزل بها ليفهمه جميع الناس في شتى القبائل العربية[(٣)].

ليس علينا أن نأخذ بكل ما ورد من روايات في ألفاظ القرآن الكريم ونسبتها إلى اللغات إنما يجب أن نعمّق البحث عن الحقيقة،

(١) تفسير ابن عطية:٢٧٧/٢،وينظر البرهان في علوم القرآن:٣٦١/١_ ٣٦٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن :٢٧٧/١.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١/ ٣٧١، والإتقان في علوم القرآن : ٢٤٥/١، ومن تراثنا اللغوي ، طه باقر: ٧.

فالأوائل ذهبوا مذهباً فيما يعرفونه، وقد ظهرت علوم حديثة يمكنها أن توصلنا نتائجها إلى أقرب تصور لغوي، فالأوائل ما كان لديهم معرفة باللغات التي تفرعت وتطورت عن العربية الأم ما يسمى في علم اللغات بـ(العائلة اللغوية) ووصفت بالساميّة إلا ما ندر، لكن تصورات بعضهم يحوم حول حقيقة ذلك. كما ذكرت عند ابن عطية، فكلمات الصراط والهيكل والديباج والاستبرق والقلم ... عدت من الدخيل[١]، وحينما نعود إلى المصادر القديمة نجد الاضطراب في النسب والروايات غير المعتمدة على العلم اللغوي باللغات نجد نسبة بعضها إلى القبطية وأخرى إلى التركيّة وأخرى إلى الزنجيّة أو البربريّة[٢].

وعند التفتيش والتنقير مستعينين بالدراسات اللغوية تكون كل هذه المنسوبات فروع إلى أصل لغوي واحد ما عدا التركية والروميّة، وهذه لها تعليل علمي لغوي لدى تراثنا اللغوي الدخيل[٣].

---

(١) ينظر :فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب :٧٩، وفي التفسير اللغوي ،د. زهير غازي زاهد٢٢-٢٥.

(٢) ينظر كلام العرب :د. حسن ظاظا :٥٩، ومن تراثنا اللغوي ، د. طه باقر :٧.

(٣) ينظر المتوكلي ، السيوطي ١٥٧،١٥٥،١٥٣،١٤٩.

فالذي يزيد من صعوبة البت في أمر المعرب والدخيل في لغتنا هو كونها قديمة موغلة في القدم كما ذكرنا سابقاً، لذا يكون من المستحيل الجزم في بحث كثير من الألفاظ المشتركة بين العربية وغيرها من لغات العائلة الساميّة بأنَّ هذه اللفظة أو تلك مأخوذة من العبريّة أو الآرامية أو الحبشية ... أو غيرها إذ قد يكون العكس هو الصحيح لقدم لغة العرب أو لعدم عثورنا على نص مكتوب عن اللغة الأم التي تفرعت عنها كل تلك اللغات، واللغة العربية تعتبر بناتها شبهاً بها.

يجب علينا إذن أن ننتبه إلى ما جاء من مبالغات في كتابات العلماء في إلحاق ألفاظ عربية أصيلة بمصادر سامية أخرى أو غيرها ، وهو أمر وقع فيه علماء محدثون من عرب ومستشرقين كالأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية) بالرغم من حذره الشديد في ذلك إذ يقول في مقدمة الباب من كتابه : (من الواضح للخبراء أن معالجة هذا الموضوع شديد الوعورة لدى العرب ومن ورثوا لغتهم في العصور الأخيرة لم يدرسوا أصل الكلمات الدخيلة، ولم تدرج فيها الجداول الآتية

سوى ما أيقنا مصدره المباشر أو رجحنا حقيقته بل أضفنا إليها ألفاظاً عديدة مما اكتشفناه)[1].

هذا كلام مقبول، فالعربية ما زالت ينقصها المعجم التاريخي الذي بدأ العمل به سنة ١٩٤٧م، مجمع اللغة العربية في القاهرة ثم انقطع بوفاة المستشرق فيشر[2] مع الأسف، فما ذكره الأب رفائيل نخلة مقبول ولكن ينبغي أن نستعمل الطريقة العلمية المثلى في ذكر الألفاظ المشتركة بين اللغات السامية من دون القول بأنَّ العربية التي أخذت إلا عندما يثبت الانتقال إليها بما لا شك فيه من الظواهر الصوتية والصرفيّة؛ لأنَّ العربية احتفظت بأكثر وأعرق خصائص السامية الأم[3].

إنَّ معرفة لغويينا باللغات واللهجات القديمة (الساميّة) كانت ناقصة محدودة ما سبب نقصاً في المعجمات العربية ، فما كان معروفاً من هذه اللغات اقتصر على العبرانية والارامية والحبشية، ولم تكن تلك اللغات الأقدم منها كالبابلية والآشورية (الأكدية) والكنعانية قد كشفت عنها النقاب عما خلفته من مدونات لغوية إلا

(١) ينظر :من تراثنا اللغوي القديم ، د. طه باقر :٨.

(٢) غرائب اللغةالعربية:١٦٩.

(٣) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. محمد رشاد حمزاوي :٥٠٩-٥١١.

في القرن التاسع عشر بعد معرفة قراءة الخطوط القديمة، ان عدم معرفة لغويينا هذه الحقيقة أوقعهم في أوهام تأصيلهم لكثير من الألفاظ العربية ، فنسبوا مفردات ذات أصل عربي إلى السريانيّة مثلاً بمجرد وجودها في السريانيّة، مثل كلمة (الله) وقد فاتهم للأسباب التاريخيّة أن مرد هذا التشابه في اللفظ والمعنى ليس إلى اقتباس العربية من السريانيّة أو غيرها من اللغات الساميّة بل هذا التشابه ناشئ من حقيقة كون السريانيّة والعربية تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة ، ومثلها مفردات كثيرة[١]، وهذه النتيجة التي اختصرها الطبري في قوله :(وهذه الأمثلة المنسوبة إلى سائر اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد)[٢].

(١) ينظر : كلام العرب ، حسن ظاظا :٦٧.

(٢) ينظر :من تراثنا اللغوي : طه باقر :٧.

المصادر والمراجع

١-الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الأصول إلى علم الأصول، تقي الدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (ت ٧٥٦ه)، وولده ناج الدين عبد الوهاب بن علي السّبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود أمين السيد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١ ، ١٤٢٤/٢٠٠٤م.

٢-الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ه)، دار الندوة الجديدة ــــ بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

٣-الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين علي بن أبي علي الأمدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.

٤-أصول الفوائد الغروية في مسائل علم أصول الفقه الإسلامي، محمد باقر القمي، مؤسسة التقى، قم – إيران ط١، ١٣٧٧ه.

٥-الأضداد: أبو بكر ابن الأنباري (ت٣٢٨ه)، مكتبة صيدا، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦-أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. محمد رشاد حمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٧-أمالي السهيلي في النّحو واللغة والحديث والفقه: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (ت ٥٨١ه)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، القاهرة- مصر، ط١، ١٣٩٠ه/ ١٩٧٠م.

٨-البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر الزّركشي (ت ٧٩٣ه)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ط١— ١٩٨٨م.

٩-تاج اللغة وصَحَاح العربية المسمى ب(الصَّحاح): أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٨ه)، دار إحياء التّراث العربي، بيروت- لبنان، ط١. ١٤٣٠ه/ ٢٠٠٩م.

١٠- تقريرات الشربيني على شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن الشربيني، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، ط١، (د.ت).

١١- التّبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر مُحمد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠ه)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، العراق . ١٣٨٣ه/ ١٩٦٣م.

١٢- جامع البيان في تفسير آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١(د.ت).

١٣- حاشية التفتازاني على شرح مختصر ابن الحاجب: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٣هـ)، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، مصر، ط١، (د. ت).

١٤- حاشية العطار : حسن بن محمد بن محمود العطار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣١٩هـ.

١٥- دراسات أصوليّة : الدكتور : أحمد القرني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤١٩م.

١٦- الرسالة : محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مطبعة البابي الحلبي ، ط١، ١٩٤٠م.

١٧- شرح جمع الجوامع : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ)، مطبعة مصر ، القاهرة ، مصر،(د.ت).

١٨- شرح مختصر المُنتهى الأصولي : ابن الحاجب المالكي (٦٤٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م.

١٩- شرح العُضد : عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : فادي نصيف ، وطارق يحيى، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠- شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م .

٢١- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عُمر الخّفاجيُّ (ت ١٠٦٩ه) ، تحقيق ،الدكتور محمّد كشّاش ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط ١، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

٢٢- علل الشرائع : محمد بن علي القمي المعروف بالشيخ الصدوق ، مطبعة نمارة ، قم ، ايران ، ١٤١٨ه.

٢٣- في التعريب : أحمد بن كمال باشا زاده، (ت ٩٤٤ه) ، تحقيق : أحمد خطاب العمر ، مركز البحوث الحضارية والاثارية ، جامعة الموصل ، العراق ، ط ١، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.

٢٤- في التفسير اللغوي :د. زهير غازي زاهد، منشورات الجامعة الإسلامية، النجف ، ط ١، ٢٠١١م.

٢٥- قصد السّبيل فيما في اللغةِ العربيّة من الدّخيل ، محمد الأمين بن فضل الله المُحبيُّ (ت ١١١١ه)، تحقيق: د. عثمان مُحمود الصّيني ، مكتبة التّوبة – الرياض – السعودية ، ١٤١٥ه، ١٩٩٤م.

٢٦- قواطع الأدلة في أصول الفقه : ابو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السّمعاني (ت ٤٨٩ه) ، تحقيق: مركز البحوث والدّراسات ، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة ، السعودية، ط ١، ١٩٩٨م.

٢٧- كتاب سيبويه : أبو عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب ب(سيبويه) ، د. عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ١٩٧٥م.

٢٨- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي التّهانوي (ت ١١٥٨ه)، تحقيق: د. علي دحروج ، ط١، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٦.

٢٩- لسان العرب: ابن منظور الأفريقي (٧١١ه)، دار صادر ، بيروت –لبنان ، ١٣٠٠ه.

٣٠- مباني الأصول: السيد محمد باقر السيستاني ،النجف ،العراق، ط١، ١٤٣٤ه.

٣١- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، عبد القادر بن بدران الدمشقي (١٢٦٧ه)،تحقيق : عبد الله بن عبد المُحسن التّركي ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت –لبنان ،ط١، ١٤٠١ه.

٣٢- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، أبو منصور مُوهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠ه) ، تحقيق: خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت _- لبنان ، ط١، ١٤١٩، ١٩٩٨مصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ.

٣٣- معالم الفكر الأصولي، محسن الأراكي، منشورات دار الفكر ، قم –ايران، ١٤٢٩ه.

٣٤- المُستصفى في علم الأصول :أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ه)، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٦م.

٣٥- المسودة ، ابن تيمية (ت ٧٢٨ه) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المدني للطباعة ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٧م.

٣٦- من تراثنا اللغوي : د. طه باقر، دار الميمونة، بيروت، لبنان ،٢٠٠٠م .

٣٧- منية اللبيب في شرح التهذيب : ضياء الدين الأعرج (ت ٧٤٦ه)، مؤسسة الإمام الصادق (ع)،قم ، ايران ،١٤٢٤ه.

الباب الثاني
قضايا لغوية

الفصل الأول
رؤية في سلامة اللغة العربية وأثرها في مناهج تدريسها توطئة

اللغة مرآة العقل البشري فهي وسيلة للفكر والفهم كما تكون وسيلة للاتصال والتعبير ولتسجيل حضارة الامم وحفظ تراثها. فقبل اهتداء الإنسان لمعرفة اللغة عاش في تيه من النسيان.

واللغة نظام ولابد لهذا النظام أن يعتمد أساسين ليتوازن ويستقيم :

أحدهما: التخطيط اللغوي ، والآخر: وحدة القرار.

ولغتنا في العصر الحاضر عصر العولمة تفتقد هذين الأساسين ، لذا تكون آفاقها هشة لاختراق لغة المسيطر المتحكم.

كيف نستطيع أن نحافظ على سلامة لغتنا في وسط هذا الصراع الحضاري الذي يكتسح القيم الحضارية بقيم حضارة القطب الواحد، كما اكتسح اللغات بلغة القطب الواحد بوسائله الإعلامية العاتية .

وما هي أهم الوسائل التي تجعل اللغة تواجه هذا العصر وتستوعب مقتضياته وأساليبه ومناهجه المتطورة؟

إن أهم الوسائل التي ينبغي لنا أن نلفت النظر للاهتمام بها في هذا المجال لتساعدنا في الحفاظ على سلامة لساننا هي :

أ- التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية الموحدة.

ب- العمل الجاد لتعريب التعليم والعلوم.

ج- وضع المصطلح وتوحيده.

د- اللغة ومناهج الدراسة.

ا. التخطيط اللغوي

لقد أخفق العرب في مرحلتنا المعاصرة ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين –عصر العولمة وعصر ثورة المعلومات- أخفقوا في ان يحققوا الوحدة في المجال السياسي أو الاقتصادي أو حتى الموقف من القضايا المصيرية، فينبغي لهم في الأقل أن يجدّوا في الحفاظ على وحدة لسانهم بلغتهم الفصيحة، وقد صارت اللغة أهم مقوم من مقومات الدولة الحديثة. فهذه البلبلة اللسانية والفوضى في استخدام اللغة في أخطر أماكنها التعليم والتعلّم ثم وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية يحتّم الوقفة الجادة من علماء اللغة والمثقفين والمؤسسات على اختلافها أن تكون واعية

للخطـر الـذي يجتـاح وطننـا وألسـنتنا. فمنـذ القـرن الماضـي والمخططات تتوالى لاحـتلال أوطاننـا ثـم احـتلال رؤوسـنا وقلوبنـا وجعلنا أسواقا استهلاكية اقتصـاديا وثقافيـا وعلميـا نتلقـى ولا نبـادر نستهلك ولا ننتج.

يبقى التخطيط اللغوي والسياسة اللغويـة الموحـدة فـي عمـوم الاقطار العربية هي الغايـة المنشـودة. فـالتخطيط اللغـوي لا يتحقّـق الغرض المنشود منه اذا لم تسر اللغة واصلاحها والجهود فـي ذلـك سيرا متوازيا في كل مجالات الحياة العلمية والادبية واليومية وعلى جميع مجالات ممارستها في وسائل النشر وقاعات الدرس والبيـت والسوق ومكاتب الدوائر الرسمية ... الخ .

نحن اذ ندعو للتخطيط اللغوي لنشر العربية سليمة علـى ألسـن الناطقين بها لا نقصد الوقوف في وجه تعلم اللغات الحية فان إلمام المثقف العربي بلغـة حيـة أو أكثـر صـار ذا أهميـة كبيـرة فـي هـذا العصر الذي تتسارع فيه خطى العلم والادب في مختلف مجالاتهما انما نريد المحافظة على وحدة العربية وفصاحتها في ألسن الناطقين بها باعتبارهـا لغـة عقيـدة وحضـارة واسـعة والعمـل علـى تطويرهـا بالوسائل الحضارية.

ب- ضرورة تعريب التعليم والعلوم

لقد صلحت العربية في العصور الماضية لاستيعاب التغيير والجديد فيها، ففي العصر الاسلامي استوعبت التغييرات الجديدة في المجتمع والفكر والعقيدة ثم امتدت الى أمم أخرى تقبلتها وتعلمتها راضية وفي العصر الاموي صلحت لتعريب الدواوين وتنظيم الادارة وقضايا المجتمع عامة وقد أفادت من تجاب الأمم الاخرى الرومية والفارسية والهندية ولم نسمع أحدا دعا الى الأخذ بلغة امبراطورية في ذلك العهد وفي العصر العباسي نجد العربية تتسع لكل المستجدات من العلوم والفلسفة والادب وظهور المصطلحات المعربة أو العربية عن طريق الاشتقاق أو القياس أو التعريب أو النحت أو الاقتراض بعد ترويضها وجعلها منسجمة مع نظام العربية وظهرت كذلك الاساليب الجديدة في الاستعمال على ألسن الشعراء وأقلام الكتاب والخطباء.

وفي العصر الحديث ((لنا خير شاهد في تدريس علوم الطب والكيمياء والرياضيات الحديثة والفيزياء والجيولوجيا وعلوم الذرة والفضاء والطب النووي والصناعات الكيمياوية والهندسة وعمليات القلب المفتوح وغيرها في جامعات القطر السوري والكليات العسكرية وقد تم ذلك كله ويتم بلغة عربية خالصة لم تقلل من

شأن أي متخصص في هذه العلوم.. بالقياس الى زميله في جامعة عربية أخرى درس تلك العلوم بالانجليزية أو الفرنسية أو الالمانية أو أية لغة أخرى صلحت لأن تكون مؤهلة لاستيعاب العصر))[١] كما أنّ لنا مثالا في اللغات المحدودة نسبة الى العربية تدرس بها العلوم المختلفة في مدارسها وجامعاتها وتستخدمها في كل جوانب حياتها كما هو في بولندا والمجر والدانمارك ورومانيا والسويد والنرويج وبلغاريا..[٢] وقد أثبتت التجارب العلمية أن تعليم العلوم باللغة القومية أكثر فائدة من تعليمها بلغة أخرى. فقد أجرت الجامعة الأمريكية ببيروت أواسط الستينات تجربة فكان الآتي: ((مجموعتان من الطلاب تلقت الاولى دروسها في مادة علمية معينة باللغة الانجليزية وتلقت الثانية دروس المادة نفسها باللغة العربية ثم أدّت المجموعتان الامتحان في تلك المادة المدروسة فكانت النتيجة أنّ الأولى قد استوعبت نحو ٦٠٪ من المادة بينما بلغت نسبة استيعاب الثانية من المادة نفسها نحو ٧٦٪ ولما أعيدت التجربة بالقراءة حيث طلب من المجموعتين قراءة نصوص مكتوبة

(١) اللغة العربية وعلوم العصر – د.مسعود بوبو – مقال في مجلة الفكر العربي العدد ٦٠ سنة ١٩٩٠ ص٦٤.

(٢) الاسس اللغوية لعلم المصطلح – حجازي ١٨٩-١٩٢.

ثم اختبرت المجموعتان لمعرفة استيعاب المادة المقروءة فكانت النتائج مقاربة لنتائج التجربة الأولى التحريرية))[١].

فالعربية غير قاصرة في استيعاب العلوم وحضارة العصر انما القاصر عن التقدم هم أهلها والناطقون بها.

ج- المصطلح – وضعه وتوحيده:

للمصطلح أهمية كبرى في حياة اللغات، وتوحيده في الاستعمال يزيده أهمية ويضعف من البلبلة اللسانية في الاستعمال ثم الفهم على نطاق الدلالة ولا يتحقق هذا إلاّ من خلال التخطيط اللغوي وقرار السياسة اللغوية الموحدة على نطاق العرب كما هو معمول به في لغات متقدمة كالفرنسية حيث تكون ((جمعية التنميط اللغوي الفرنسية (AFNOR) تقوم بوضع المصطلحات وتوحيدها))[٢].

ان انعدام التخطيط لدى العرب انعكس على الاستعمال اللغوي للمصطلحات الحديثة خاصة؛ لذا نلاحظ الفوضى المصطلحية –ان صح التعبير– تعم العربية في أقطارها العربية فتكثر التسميات

(١) مقال: متى تصبح الفصحى لغة التعليم العالي– د. هاشم الشريف – مجلة كلية التربية بطرابلس العدد ٢١سنة ١٩٩٦.

(٢) اعمال مجمع اللغة العربية ٥٤٥ هامش ١٧.

للمسمى الواحد ويحدث الاختلاط، واذكر مثالا لذلك: علم اللغة وفقه اللغة واللسانيات والالسنية تستعمل في كثير من الاحيان لدلالة واحدة وكذا الهيكلية والبنيوية والبنائية وخذ أيضا المصطلحات الموضوعة أو المعربة في مجال اللغة والأدب والنقد الأدبي والعلوم على اختلافها فضلا عن المصطلحات في ألقاب الشهادات العلمية الجامعية والعليا. كل ذلك ناتج عن غياب التخطيط وكثيرا ما ارتفعت دعوات من اللغويين في الشام والعراق ومصر والمغرب العربي لأن يعهد أمر المصطلح الى لجان متخصصة تنبثق من المجامع والمؤسسات اللغوية بالتعاون مع مكتب التنسيق بعد الاتفاق على مناهج وضع المصطلح أو تعريبه ثم اشاعته لتكون النتائج مثمرة لغويا في كمية المصطلحات المنتجة ودلالتها الموحدة ث نوعها المناسب للاستعمال(١)؛ لتفي بحاجات التدريس والتأليف والبحث. فاستعمال المصطلح المتعدد والدلالة واحدة

(١) انظر: اعمال مجمع اللغة العربية ٥٤٣ ملاحظات المجمعي التونسي حسن حسني عبد الوهاب في ضآلة المصطلحات المترجمة وملاحظة المجمعي السوري مصطفى الشهابي عدم تآلف مناهج التعريب لتأتي بنتائج مفيدة واقترح بأن يوكل وضع المصطلحات للجان متخصصة لان المصطلحات التي وضعها المجمع لا تشمل جميع العلوم ولاسيما الزراعة.

يحدث فوضى فكرية في البحوث المنتجة وأهم مظهر للتعاون هو توثيق التعاون بين المؤسسات اللغوية في المشرق العربي ومغربه وعلى سبيل المثال: لقد كان جدل طويل بين مصطلحي: علم اللغة واللسانيات، فالاول شاع في مصر والعراق وسوريا.. والثاني شاع في دول المغرب العربي، وعلى الرغم من محاولة الاتفاق على توحيده لم تسفر الجهود الى نتيجة، فالاجتهاد ضروري في الأمور العلمية ولكن ينبغي أن لا يكون الاجتهاد الفردي سببا لحدوث شرخ في استعمال اللغة والمهم ان يدخل الاجتهاد في ضمن الجهد الجمعي لاختيار المصطلح فما يفيد اللغة وثبات المصطلح فيها هو الذي ينبغي له أن يشيع والايثار مهم في هذا المجال.

الخلافات في توحيد المصطلح أوصلت المناقشات في الاجتماعات اللغوية أحياناً الى درجة تفضيل مناقشة البحوث العربية في ندوات بغير العربية تجنباً للخلاف والجدل في الدعوة الى تعديل المصطلحات الثابتة.

د. اللغة ومناهج الدراسة:

على الرغم من اتخاذ القرارات والتوصيات في الاهتمام بالتعليم قبل الجامعي الذي كان موضع اهتمام المؤسسات اللغوية ثم تعريب التعليم الجامعي والعالي وتدريس العلوم بالعربية

الفصيحة وتعريب المصطلح واشاعته، لم نجد هذه القرارات ولا التوصيات قد أخذت مجال التطبيق إلاّ قليلا. فتعريب العلوم على مستوى الجامعة طبق في بعض الاقطار أما باقي الأقطار العربية فهو مازال متعثرا وجله ينفذ بلغات أجنبية ومازال التنسيق شبه مفقود أو ضعيفا على نطاق وزارات التربية والجامعات والمجامع اللغوية والاجهزة الادارية وكلهم يشكو من عدم التنسيق حتى أصبح التنسيق مشكلة من المشاكل التي تطرح في كل المؤتمرات.

وعلى الرغم من التغيير في كتب المناهج في التعليم قبل الجامعي لم تزل المناهج تفتقر الى الدقة من جهة والى الاستعانة بالخبراء المتخصصين وترك المحسوبيات في تأليف لجان المناهج.

أما الجامعات فمازالت اقسام اللغة العربية تشكو من تخلف مناهج التدريس فيها ومازالت الكتب القديمة تقرر ولا يعرف غيرها إلاّ نادرا شرحا ودرساً وقراءة على الرغم من شيوع منهج علم اللغة التطبيقي بكل فروعه ويمكن الافادة منه في كل مراحل الدراسة.

أما الكتب المؤلفة فما زالت تشكو الفقر المنهجي ويغلب على مؤلفيها الروح التجارية أكثر من العلمية.

هناك قضية مهمة هي دروس العربية التي تخصص للأقسام والكليات الاخرى غير قسم العربية، فهي مازالت متعثرة وضعيفة وأهم أسباب ضعفها[1]: انها توكل لمدرسين غير أكفاء في غالب الأحيان أو انها تؤدى لتكملة الأنصبة دون أن تنال من الاهتمام اللازم ثم عدم اكتراث الطلبة في الكليات العلمية والاقسام غير المتخصصة لعدم وجود الحوافز التي تشجع على الاقبال لدراسة العربية أو لاحساس الطلبة بعدم الرضا أو الفائدة من هذه الدروس اضافة الى أن المناهج لم توضع بعناية على وفق تخطيط واضح المعالم وواضح الأهداف. فالعربية لغير المتخصصين ينبغي لها أن تكون مفردات منهجها عامة سهلة تتناسب والقسم والكلية التي تدرس فيها وهنا يدخل منهج التدريس وقدرة المدرس في أداء مهمته ثم مفردات المنهج. فالتدريس غير نافع اذا اكن التأكيد على تلقين القواعد النظرية وكذا غير نافع اذا خاطب المدرس طلبته باللهجة الدارجة بل ينبغي له أن يكثر الحوار مع الطلبة باستعمال الفصيحة المبسطة اضافة الى المشوقات في المادة المعروضة وقد

---

(١) انظر بحث: تدريس اللغة العربية في الكليات العلمية في جامعة الفاتح للدكتور محمد بن الحاج وهو بحث ميداني قام به سنة ١٩٩٥.

تحتـاج الـى وسـائل الايضـاح والعـروض المرئيـة أو الأجهـزة والمختبرات اللغوية لزيادة إتقان النطق والاداء.

كل ذلك ينبغي ان يتم ايضا على وفق تخطيط لغـوي وتنسـيق بـين المؤسسـات اللغويـة والجامعيـة ووزارات التربيـة ومؤسسـات المنظمة العربية للتربية والثقافـة والعلـوم والافـادة مـن كـل وسـائل الاعـلام المختلفـة فـي ايصـال المعلومـة المقـروءة والمسـموعة أو المرئية بلغة فصيحة ميسرة يكون بها التعليم وبهـا يكـون الاداء فـي السينما والمسرح وغيرهما من الوسائل التي تخاطب الجماهير فضلا عن الاحاديث والندوات والمحاضرات والخطب.

مراجع البحث

1. الأسس اللغوية لعلم المصطلح – د.محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب ١٩٩٣ القاهرة.
2. أعمال مجمع العربية بالقاهرة – محمد رشاد حمزاوي ، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨ بيروت.
3. تدريس اللغة العربية في الكليات العلمية في الجامعة – بحث ميداني، محمد بن الحاج ١٩٩٥.
4. العرب وعصر المعلومات – نبيل علي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٨٤ سنة ١٩٩٤ الكويت.
5. متى تصبح الفصحى لغة التعليم العالي – د.هاشم الشريف- مجلة كلية التربية بطرابلس العدد ٢١ سنة ١٩٩٦.
6. اللغة العربية القومية والعالمية – د.ابراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٧ بيروت.

الفصل الثاني
المصطلح اللغوي بنيته وضوابطه

تمهيد

المصطلح مصدر ميمي للفعل " اصطلح " وهو اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، ولكل علم اصطلاحاته.

ورد الفعل (صلح) ومشتقاته في كتب اللغة منها : لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) وتاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، والمعجمات العربية ، وقد ورد الفعل (اصطلح) في حديث الرسول ﷺ ولا يخرج عن معنى التوافق والاتفاق كقوله ﷺ : ((اصطلحنا نحن وأهل مكة)) [١]، ولكن المصدر (اصطلاح ومصطلح) لم يرد في القرآن الكريم والحديث الشريف ، فالكلمة اتخذت مدلولها الاصطلاحي عند تقدم الحضارة العربية الإسلامية وظهور العلوم والفنون فكان للفقهاء مصطلحاتهم وللمتكلمين مصطلحاتهم وللمحدثين مصطلحاتهم وللنحويين مصطلحاتهم ، وكذا للفلاسفة ، وكل ذلك يبث في مصنفاتهم ، وقد ظهر المصطلح في عنوانات لعلماء مثل : كتاب " مقدمة ابن الصلاح

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٣٤ ، الحديث ١٨٠٧ ، دار إحياء الكتب العربية .

ومحاسن الاصطلاح " [1]، لابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦١٦ هـ) ، وكتاب " التعريفات " لعلي بن محمد الجرجاني في مجموعة كبيرة من المصطلحات ، وأوسع معجم لمصطلحات الحضارة الإسلامية هو " كشاف اصطلاحات الفنون " [2]، للتهانوي (ت ١١٥٨ هـ) .

وتوسع التأليف في مجال المصطلح في العصر الحديث ، فقد اهتمت المجامع العلمية العربية في هذا المجال الحيوي ، فألفت معجمات في مصطلحات الفنون والعلوم المختلفة ، فمجمع اللغة العربية في القاهرة أخذ بنشر المصطلحات العلمية والفنية منذ ١٩٥٧ م ، في مجلدات تجاوزت ٢٢ مجموعة [3]، وكذا نشر مجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العراقي مجموعة من المعجمات المتخصصة في مختلف العلوم .

(١) طبع بتحقيق الدكتورة بنت الشاطئ في القاهرة ، ١٩٧٦ م .

(٢) طبع في الهند (١٨٥٣ – ١٨٦٢ م) ، ونشر منه أربعة أجزاء في القاهرة ، وطبع في بيروت عن طبعته الأولى بعنوان " موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية " ١٩٦٦م .

(٣) ينظر : الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، د . محمود حجازي : ٩ ، مكتبة غريب .

لقد عـرف السـيد الشـريف الجرجـاني الاصـطلاح بقولـه : ((عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عـن موضـوعه الأول بمناسبة بينهما)) [1].

يحدد هذا التعريف ماهية المصطلح أنه (عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء) ، فالمصطلح إذن يكون بعد الاتفـاق بـين أفـراد طائفة من الناس في علم من العلوم أو في فن مـن الفنـون أو حرفـة من الحرف فينقل هذا المصطلح المتفق عليه " عن موضـوعه الأول لمناسبة بينهما " يعني أن المصطلح بالرغم من اتخاذه دلالة جديـدة لا يفارق علاقته بدلالته الأصل وإنما تبقى العلاقة الدلاليـة بصـورة من الصور خاصا بذلك العلم أو الفن ، وفي هـذا المجـال ينبغـي أن نوضح أن المصطلح الواحد على وفق ما اتفق عليه أفراد ذلك العلم أو الفن .

لنأخذ مصـطلح (عامـل) مـثلاً ، فهـو لـدى النحـويين العامـل اللفظي أو المعنوي أي الفعل أو الوصف الذي يؤثر في غيره الرفـع أو النصب أو الجر ، لكن (العامل) في المعمل يدل على الشخص

(١) كتاب التعريفات ، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني : ٢٣ .

الذي يقوم بالعمل و (العامل) في الكيمياء يعني المادة التي تتفاعل مع غيرها فتؤثر فهيا .

وهكذا يأخذ كل مصطلح دلالة اتفق عليها أفراد في علم من العلوم أو فن من الفنون ، لكنه في كل الأحوال يبقى ذا علاقة بدلالته اللغوية لا يفارقها أو يناقضها .

إنّ لغة المصطلحات تعدّ لغة خاصة يدل عليها المصطلح على المعنى الضيق المعرفي المتفق عليه في ذلك العلم أو الفن ولا يراد به الدلالة على المجال الواسع في دائرته الدلالية ، لأن أهم سمة للمصطلح هي الوضوح والدلالة على مفهومه دلالة مباشرة ، لذلك تختلف لغة المصطلحات عن اللغة الأدبية ، فالمصطلح ينبغي له أن لا يعرف بالإيحاء أو التصور وإنما يكون ذا دلالة واضحة في إطار استعماله العلمي أو الفني ، لذا ينبغي أن يتصف بالدقة والعلم في صوغه أو اشتقاقه أو تعريبه كما سيأتي الحديث في ذلك ، والسمة الأخرى التي ينبغي للمصطلح أن يتسم بها هي التوحد في المفاهيم ، فوحدة المصطلح تؤدي إلى وحدة المفاهيم في ضمن العلم أو الفن ، وتعدد المصطلح للمفهوم الواحد قد يؤدي إلى الارتباك الفكري والقيمي وهو مما تعانيه العربية في عصرها الحديث في مجالاتها العلمية والفنية واللغوية .

بناء المصطلح :

بناء المصطلح يكون بالوسائل الآتية :

١- الاشتقاق وضابطه .

٢- التركيب .

٣- النحت .

٤- التعريب والترجمة .

١ـ الاشتقاق وضوابطه:

العربية من اللغات المتصرفة الاشتقاقية ، وقد ذكر ابن جني العلاقة بين الصرف والاشتقاق ، إذ قال : ((وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديداً ، لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى ، وكذلك الاشتقاق ... إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه ، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق)) [١].

(١) المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني : ١ / ٣ .

الاشتقاق أهم مجال لتوسيع اللغة وتنميتها ، عرفه القدماء بأنه " أخذ كلمة من أخرى لتناسب بينهما في المعنى واللفظ "[١]، وعن طريق الاشتقاق تكونت في اللغة العربية آلاف الكلمات للحياة العامة ولمصطلحات العلوم على مدى عدة قرون [٢]، واختلف القدماء من اللغويين العرب في اصل الاشتقاق فالبصريون قالوا : إن المصدر هو أصل الاشتقاق ، والكوفيون قالوا : الفعل هو أصل الاشتقاق ، أما المعجميون فمنهجهم في ترتيب أبواب المعجم جعلوا مدخل المادة الحروف الأصول من دون اعتبار لأشكال الصيغ والملحقات ذات المعاني الوظيفية ، فالأصول الثلاثية هي الأساس وتشتق من هذه الأصول الثلاثة الأفعال والمصادر والأوصاف من دون أن يكون أحدها أصلا والآخر فرعا ، فإذا كان اتخاذ الأصول الثلاثة أصلا لاشتقاق الكلمة وصلة الربط بين ما يؤخذ عن هذه الأصول تصبح الكلمات العربية مشتقة ما عدا الضمائر والظروف (حيث أين حتى ، إذا ، إذ ...) والأدوات وهي ما سمي بالكلمات الصلبة ، فالكلمات المشتقة تكون قسمين :

(١) ينظر : الخصائص : ٢ / ١٣٥ ، الإنصاف للأنباري ، مسألة : ٢٨ .

(٢) ينظر : الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ٣٦ .

جامدة مثل : رجل وحجر وجبل ، ومتصرفة مثل : الأفعال والمصادر والأوصاف [1]. فالمشتق من أصل يكون بينهما تناسب في المعنى والحروف .

لقد تطورت مفردات العربية ونمت مصطلحاتها عبر العصور ، ففي كل عصر تزداد المفردات والمصطلحات بحسب حاجة المجتمع الناطق بالعربية وتُماتُ مفردات فتنسى ، فظهرت في المجتمع الإسلامي مفردات جديدة بدلالات جديدة ، وقد تتخذ كلمات تستعمل سابقا دلالات جديدة ، فالصوم والصلاة والزكاة والجهاد والجزية وآلاف الكلمات الجديدة حدثت كذلك في العصور المتتابعة حتى إذا وصلنا إلى العصر الحديث واجهت العربية مشكلة كبيرة بغزوها بمجاميع من الآلات والمفردات والمصطلحات في العلوم والآداب احتاجت لمقابل لها ، وهنا يجيء دور المجامع العلمية والمؤسسات اللغوية والجامعات للقيام بهذه المهمة ، كما يجب إيجاد الطرق من القياس والصيغ المناسبة لوضع المصطلحات العلمية والمفردات الحضارية المحتاج إليها في الترجمة والتعريب إلى العربية ، لذلك جاء قرار مجمع اللغة العربية

(١) ينظر : العربية معناها ومبناها : ١٦٩ ، موضوعات في نظرية النحو العربي : ٢٧٩ — ٢٨٤ .

في القاهرة في إجازة الاشتقاق من الأعيان وهو موجود في العربية وإن كان قليلا وغيره من القرارات بعد التأكد من مطابقتها لبنية المفردات والصيغ العربية لإقرارها وإشاعتها حتى أجاز ″ السماع ″ من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها [١]، فعني بوضع الضوابط والأقيسة لوضع الأفعال والأسماء والمصطلحات التي لم ترد في المعجمات العربية مستعملين القياس على كلام العرب واعتمادا على قول أبي عثمان المازني : ((ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم))[٢]، فاستعملوا الأوزان العربية لاشتقاق الأفعال والكلمات العربية ، ومن اللغويين من دعا إلى الإفادة من المجاز في العربية فإن بابه لم يغلق وفتح باب الاجتهاد في إيجاد المصطلح [٣]، كما أجيز الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء الجامدة كما ذكرت على وزن (فعّل) فقالوا:

(١) مجموعة القرارات العلمية ، مجمع اللغة العربية : ١٤ ، القاهرة .

(٢)الخصائص : ٢ / ١٣٥ .

(٣) ينظر : بحث في سلامة اللغة العربية ، د. مصطفى جواد ، رقم (١) مجلة المجمع العلمي العراقي الثاني ، ١٩٥٢ م : ٢١٥ ، مجلة الرسالة المصرية ، عدد (٩٣٢) : ٥٦٠.

جبّس ، من الجبس ، وشخّص من الشخص ، وشرّع من الشرع ، وحجّر من الحجر [١].

ولمجمع اللغة العربية في القاهرة جهود في هذا المجال كما لمجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العلمي العراقي أيضاً والمؤسسات العلمية في تأليف معجمات في مصطلحات البلاغة والفلاحة والفيزياء والعلوم الأخرى وعلم اللغة الحديث والمصطلحات الأدبية ايضاً [٢].

هل يجوز الاشتقاق من المعرّب ؟

اللغويون والاشتقاق من المعرب على مذهبين :

أحدهما : رفض الاشتقاق منه كما يرفضون أن يكون في القرآن الكريم منه بشيء وهو موقف الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) ، والطبري (ت ٣١٠ هـ)، وابن السراج (ت ٣١٦ هـ) ، وأحمد محمد شاكر وعلي خشيم من المحدثين .

(١) ينظر : الاشتقاق لابن السراج : ٦ / ٣٧ ، وكذلك اشتقوا على صيغة استفعل مثل : استحجر واستعجم واستنوق الجمل واسترجلت المرأة .

(٢) ينظر : كتاب الألفاظ والأساليب ، محمد شوقي أمين ومصطفى حجازي ، طبع مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٧ م ، كتاب في أصل اللغة ، محمد خلف الله ومحمد شوقي أمين ، طبع مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٩ م ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، الفصل السادس " قضية المصطلح العربي الحديث " : ٢٣٦ – ٢٧١.

والمذهب الآخر : يذهب إلى وجوده في القرآن الكريم وهو قول عبد الله بن عباس (ت٦٨ هـ) ، وسعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) ، وأبي القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) [1]، من القدماء ، والدكتور مصطفى جواد ورمضان عبد التواب من المحدثين .

لقد رفض أبو بكر بن السراج الاشتقاق من الأعجمي وحذر منه في قوله : ((غاية الحذر أن يشتق من لغة لشيء قد أخذ من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت)) [2]، ولكن من المحدثين من عد الاشتقاق من المعربات واستغرب قول أبي بكر منع الاشتقاق ، وقد استشهد بكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نقلا عن القاموس للفيروز آبادي في قوله : ((والنيروز أول يوم من السنة معرب نوروز ، قُدّم إلى علي بن أبي طالب شيء من الحلوى فسأل عنه فقالوا : للنيروز ، فقال : " نيروزنا كل يوم " ، وفي المهرجان قال : " مهرجونا كل يوم " ، والسبب في ذلك أن النيروز

(١) ينظر : كتاب المتوكلي ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق د. عبد الكريم الزبيدي : ٣ – ٦ ، ٣٣ ، هل في القرآن أعجمي ، د. علي خشيم : ٥ – ٦ ، مبحث في سلامة اللغة العربية ، د. مصطفى جواد ، رقم (١): ٣ ، ٢٣٥ ، ٤٣٤ ، رقم (٢) : ٢٠٩ – ٢١٠ ، مجلة المجمع العلمي العراقي السنة الأولى ، ١٩٥٠ م .

(٢) الاشتقاق ، ابن السراج : ٤١ .

والمهرجان ، لما دخلا في العربية واستعملا في صدر الإسلام استلزما اشتقاق فعلين لهما سبق الإمام غيره إلى اشتقاقهما ، ولم ينكر عليه أحد ذلك الاشتقاق ؛ لأنه جرى على طبيعة العربية والاسم أشبه بأبنية العرب مثل : بيروت ، وأيلول ، وبيقور ، فمعنى نيروزنا ومهرجونا : قدّموا لنا حلوى النيروز ، والمهرجان ، كما قالت العرب : زودّونا وعسّلونا وتمروّنا أي أعطونا : زادا وعسلا وتمرا "فإذا كان في الاشتقاق من الاسم الأعجمي فائدة فلا بأس بإتباعه)) [1].

٢ـ التركيب:

عرفت العربية نوعين من التركيب في الأسماء : أحدهما المركب الاسنادي مثل : شاب قرناها ، وحكمه الحكاية ، والثاني : المركب المزجي ، مثل : حضر موت ، وبعلبك ، وهو من كلمتين "

(١) ينظر : كتاب النيروز ، لأحمد بن فارس (في ضمن نوادر المخطوطات) : ٢ / ١٨ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاموس المحيط (النرز) : ٢ / ١٩٣ – ١٩٤ ، مبحث في سلامة اللغة العربية رقم (١) أنه إذا كانت الألفاظ خفيفة النطق والصيغة ومادتها تشبه المادة العربية وأوزان لسانا وصيغ الألفاظ نفسها .

نزلت ثانيتهما منزلة تاء التأنيث مما قبلها " [1]، وتركيب ثالث هو الاضافي .

وقد درست مسألة التركيب في باب (العلم) من كتب النحو .

اتخذ علماء اللغة التركيب وسيلة من وسائل إنتاج المصطلح ، وفضلت هذه الوسيلة على النحت ((في النحت تفقد العناصر المكونة بعض صوائتها وحركاتها ، وفي التركيب تحتفظ العناصر بكل صوائتها وحركاتها)) [2].

فقد استعانت العربية بالتركيب وسيلة لتوليد المصطلحات بالأقدام ((على تركيب كلمتين أو أكثر على شكل تراكيب مزجية ووصفية وإضافية وحتى على هيأة جمل متجاوزة العلم إلى تراكيب أخرى وقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة صوغ المركب المزجي في المصطلحات العلمية عند الضرورة)) [3].

وقد عرفت العربية في عصر الترجمة نموذجا من المصطلحات تركب تركيبا مزجيا يتكون من (لا قُدِّسَ سِرُّهُ الاسم) فقد أعطتنا " لا "

---

(١) أوضح المسالك لابن هشام : ١ / ٩٠ .

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، د. محمود حجازي : ٧٧ ، ينظر : المباحث اللغوية في العراق ، د. مصطفى جواد : ٩٥ — ٩٦ .

(٣) العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ، بقلم عدنان الخطيب : ٣٤٨ .

النافيــة كثيــرا مــن الاصــطلاحات العلميــة الرشــيقة، فقــد اســتعمل المتقدمون اصطلاحات عديدة من هذا القبيل فقالوا: (لا تناهي، لا ضروري، لا أدري) وقد استفاد المعاصرون أيضا من هـذه الصـيغة فصرنا نقول : المخابرة اللاسلكية ، ومبـدأ اللامركزيـة، والحكومـة اللادينية، كما نقول : لا شعوري، ولا إرادي واللاافقريـات[١]. وقـد اتخذت مصطلحات علمية من هذا القبيل في الفيزياء والحيوان[٢].

وقد يتخذ المركب المزجي من (اسم عربـي + نهايـة أجنبيـة ic، ate) ، مثل : خلاّت ، وكبريتات ، وخليك ، ونحاسيك .

أما المركب الإضـافي وهـو مـن اسـمين فينـزل ثانيهمـا منزلـة التنوين مما قبله كما ذكرنا ، وهو يختلف في الاستعمال عن السابق فالمزجي يتكون من اسم واحد والإضافي يتكون من جزأين الثاني مضاف إليه والأول يقع عليه الإعراب ، ثم إنّ المزجي تدخل عليـه (أل) أما الإضافي فلا تدخل عليه (ال) ، فالمضاف في العربيـة لا تدخل عليه (ال) ، من ذلك بعض الألفـاظ القصـيرة التـي تضـاف إلى أخرى لتكون مصطلحا ذا دلالة ((فلفظة غبْ مـثلا تـدل علـى حـدوث شـيء بعـد شـيء آخـر فممكـن اسـتعمالها مقابـل الــ (

(١) ينظر : المباحث اللغوية في العراق : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ .

(٢) ينظر : الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ٧٨ .

arost) بالإفرنجي كأن تقول : غبمدرسي ، وغبجليدي ...)) [(١)] .

فهذا تركيب مزجي يشبه النحت .

وقد ذُكرت أنماط من التركيب الإضافي للمصطلحات العلمية بإضافة كلمات [(٢)]، مثل :

أ) (شبه **+** اسم) نحو : شبه الظل ، شبه محوري ، شبه عازل (في الفيزياء) .

ب) (عدم **+** مصدر) نحو : عدم التوازن ، عدم التكافؤ ، عدم التغيير (في الفيزياء والنبات) .

ج) (بين **+** مضاف إليه مثنى أو جمع)، نحو : بين قطبين، بين النجوم ، (في الفيزياء).

٣ـ النحت :

لقد استعملت العربية النحت لتوليد المصطلح في التنمية اللغوية والنحق ، وقد اشتقت من الكلمة المنحوتة أفعالاً ، فكلمة (حيْعلَ) من ″ حيّ على ″ ، والمصدر (حيعلةٌ) ، وبسمل من ″ بسم الله ″ ، والمصدر (بسملةً) ،و (حوقل) من ″ لا حول ولا قوة ″ والمصدر (حوقلة) وكذا هلل ، من ″ لا إله إلا الله ″ .

(١) المبحث اللغوي في العراق : ٩٩ — ١٠٥ .

(٢) ينظر : تفصيل ذلك في كتاب : الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ٨٠ — ٨٧ .

وكذا استعملت النحت في النسبة أيضا : فعبسقي نسبة إلى عبد قيس وعبشمي ، نسبة إلى عبد شمس .

وقد ذكر الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) النحت بقوله : ((أخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلا)) [١]، واستشهد بالبيت :

أقول لها ودمع العين جارٍ ألم يحزنك حيعلة المنادي

((فهذه كلمة جمعت من ″ حي ″ ومن ″ على ″ ، وتقول : حيعل يحيعل جيعلةً ... وهذا يشبه قولهم : تعبشم الرجل وتعبقس ، ورجل عبشمي إذا كان من عبد شمس ، أو من عبد قيس)) [٢].

وذكر أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) رأيه بالنحت في معجمه ″ مقاييس اللغة ″ : ((أنه من الكلمات التي هي الزائدة عن ثلاثة أحرف قائلا : إن أكثر الرباعي والخماسي منحوت)) [٣]، كما ذكر في كتابه ″ الصاحبي ″ باب النحت قائلا : ((العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار ، وذلك : رجل

---

(١) العين : ١ / ٦٠ .

(٢) السابق .

(٣) مقاييس اللغة : ٦ / ٣٢٨ .

عبشمي منسوب إلى اسمين)) [١]. واستشهد ببيت " العين " السابق ، ثم قال : وهذا مذهبنا في الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد : " ضِبَطْر " من ضبط وضب [٢]. وكذا عرض السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه " المزهر " النوع الرابع والثلاثين " قول اللغويين في النحت بدأها بقول الخليل المذكور حتى قول أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) في النحت : " هذا الحكم لا يطّرد إنما يقال منه ما قالت العرب والمحفوظ عبشمي في عبد شمس ، وعبدري في عبد الدار .. " [٣].

لقد كانت الأمثلة التي ترددت في المعجمات العربية وكتب اللغة من النحت محدودة ، لقد واجهت العربية في العصر الحديث سيلاً هائلاً من مصطلحات العلوم والآداب المختلفة في الحضارة العربية ، فصار من الضرورة الملحة مواجهتها ووضع مقابل عند نقلها أو ترجمتها ، وقد اتخذت العربية وسائل للتنمية اللغوية منها النحت الذي نحن بصدده ، ومن أوائل من تعرض لقضية النحت عبد القادر المغربي في كتابه " الاشتقاق والتعريب " وقد عدّ النحت

(١) الصاحبي : ٤٦٠ .

(٢) أي اتصلت عظامه واكتنز لحمه ، ينظر : مقاييس اللغة : ٣ / ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٤٠١ .

(٣) المزهر : ١ / ٢٨٢ – ٤٨٥ .

فيه " من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل "[1]، وهو موقف وسط ، لأن الدارسين المحدثين انقسموا في موقفهم من النحت على ثلاثة طوائف[2].

إحداهما جعلته في ضمن الاشتقاق ، لأنه توليد شيء من شيء ، ومن أوائل من جعله قسماً من الاشتقاق وسمّاه الاشتقاق الكبّار عبد الله أمين[3].

والموقف الثاني ما ذكرناه للشيخ المغربي .

والطائفة الثالثة جعلته غريباً عن نظام العربية في الاشتقاق ، وحجته أن اللغويين القدامى لم يعدوه من ضروب الاشتقاق ، وقد مر قبل قليل قول أبي حيان : بأنه حكم لا يطرد بل يقال منه ما قالته العرب .

ومن المحدثين ذهب هذا المذهب انستاس ماري الكرملي في اعتراضه على خطة المجمع بعد أن ذهب معظم أعضائه إلى قبول النحت قائلاً : " لا أرى حاجة إلى النحت لأن علماء العصر العباسي مع كل احتياجهم إلى ألفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية ،

---

(١) الاشتقاق والتعريب : ٢١ .

(٢) انظر : تفصيل ذلك في فقه اللغة العربية ، لإميل يعقوب .

(٣) انظر : كتاب الاشتقاق ، لعبد الله أمين : ٣٩١ .

هذا فضلا عن أن العرب لم تنحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددها على ألسنتهم " ووافقه الدكتور مصطفى جواد قائلاً :" أود أن أشير إلى أني لا أركن إليه في المصطلحات الجديدة إلا نادراً، لأنه نادر في العربية ويشوّه كلمها ، وما ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة وفقه اللغة لا يعدو الظن والتخمين والتأويل البعيد وكل ما ثبت عندي عدة رموز جمليّة مثل : سبحلَ فلان أي قال سبحان الله ، حوقل : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ... ولولا أن هذه الجمل كانت من الشهرة والتكرار بالمكان المعلوم ما استجازوا لها هذا الاختصار ، ثم إن النحت اتخذ للأفعال لا للأسماء أعني انهم كانوا يقولون : سبحل فلان ، وحوقل ، ولم يقولوا في العادة : اعتاد فلان السبحلة والحوقلة [١].

وقد اهتمت المجامع العلمية بهذه الوسيلة لوضع المصطلحات العلمية والأدبية والفنية في عصرنا الحديث مع تحفظ المحافظين من علماء اللغة المعاصرين ، فحاولت المجامع العلمية وضع ضوابط للمصطلح في هذا المجال لمنع الغموض في وضع المصطلحات والألفاظ الجديدة المقابلة للأجنبية خاصة . وقد ناقش مجمع اللغة

---

(١) المباحث اللغوية في العراق : ٨٨ – ٨٩.

العربية في القاهرة هذه القضية فكانت الموافقة على نحت الكلمات عند الضرورة ونص قراره : " يجوز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية " (١).

وهو تحفظ يتضح في قول مصطفى الشهابي بمجمع دمشق : نحن في حاجة إلى النحت في ترجمة بعض الأسماء العلمية ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة عربية واحدة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى (٢).

ومع ذلك فقد لجأ الشهابي نفسه ومجمع اللغة في القاهرة ودمشق فوضعوا مجموعة من الكلمات المنحوتة مقابل المصطلحات الأجنبية أو ما يحتاج إليه في العربية مثل : البأرز من أرز لبنان ، وشبزال من شبه + زلال (٣).

إن هذا النمط لا يمكنه أن يأتي بشيء في مواجهة سيل الكلمات التي دخلت العالم العربي من الحضارة الغربية ، لذلك

(١) مجموعة القرارات العلمية لمجمع اللغة الربي ، ص ٩ ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ٧٥ – ٧٦ .

(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية : ١٨ .

(٣) ينظر : تفصيل ذلك في الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ٧٦ – ٧٧ .

اضطر اللغويون إلى تجاوزه ومحاولة الإفادة من النحت بوجوه مختلفة لاستيعاب المصطلحات العلمية والإنسانية الحديثة [١]. وقد مرّ بنا أن الدكتور مصطفى جواد وافق الكرملي في اعتراضه على قبول النحت وسيلة لوضع المصطلح ، وقد أكد موقفه في أجابته احد العلماء المصريين ممن يميل إلى جواز النحت في وضع المصطلح إذ قال : " ولغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب كما هو مدوّن في مصنفاتهم والمنحوتات عندنا عشرات أما عندهم فمئات بل ألوف . لأن تقديم المضاف إليه على المضاف معروف عندهم فساغ لهم النحت ، أما عندنا فاللغة تأباه وتبرأ منه !! " [٢].

لكنه مع ذلك قبل " بين مفرداتنا الألفاظ المنحوتة الغربية الأصل فنقول : تلفون ونشتق منه : تلفن ، كما قال السلف : نوروز ونورزة وفيلسوف وفلسفة ، ولكن لا يكون هذا إلا بشرطين .

أ) أن تكون الألفاظ خفيفة النطق والصيغة .

(١) ينظر : أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة ، د. محمد رشاد حمزاوي : ٧٦ – ٧٧ .

(٢) المباحث اللغوية في العراق : ١٠٢ – ١٠٣ .

ب) أن تكون مادتها تشبه المادة العربية [١].

لكن مصطفى جواد تجاوب مع رأي ساطع الحصري في ضرورة أن يكون النحت وسيلة لوضع كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة ، صحيح أن الاشتقاق أهم الوسائل في العربية لتوليد الكلمات لكن الاشتقاق وحده لا يكفي لتوليد الكلمات التي يحتاج إليها التفكير البشري، لأن عمله مقصور على أوزان وقوالب معينة ، وهذه الأوزان، والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لا تستطيع أن تستوعب جميع المعاني العقلية ... إن علماء اللغة يعتقدون أن النحت عمل عملاً مهماً في تكوين اللغة ... ونحن نعتقد بأننا وصلنا إلى دور اشتدت فيه حاجتنا إلى الاستفادة من النحت اشتداد كبيراً في نهضتنا الفكرية الجديدة [٢].

لقد اهتم الدكتور مصطفى جواد إلى جانب علماء اللغة المعاصرين بالنحت واعتبره من وسائل التوسع في اللغة معتقداً أن الضرورة ماسة لذلك فمال إلى الإفادة من (لا) النافية بإضافتها إلى ما يؤلف مصطلحات عدة كما سبق ذكره ، وكذا إضافة لفظة (غب) الدالة على حدوث شيء بعد شيء وتوليد مصطلحات كما

(١) السابق : ١٠٣ .

(٢) السابق : ٩٤ — ٩٥ .

مر ايضاً ، وكذا تركيب كلمة (قبل) ونحتها مع كلمة أخرى فيتولد قبتاريخ وقبفخمي والنحت من السير في المنام مصطلح ″ سرمنة ″ وهكذا [(١)]، حتى قال : أن حاجتنا إلى مثل هذه الكلمات لا تقل عن حاجة أجدادنا إلى أمثال البسملة والحوقلة .... فلماذا إلا نجوز لأنفسنا ما جوزه أجدادنا لأنفسهم؟ .

وقد قسم اللغويون النحت على أربعة اقسام [(٢)].

١- النحت النسبي نحو عبقسي وعبدري ومرقسي وبلعنبر وبلهجيم ومنه برمائي من بر + ماء ، زمكاني ، من زمن + مكان .

٢- النحت الفعلي : بسمل ، هَوْقلَ أو حولق ، حمدل ، حسبل ، سمعل ، دمعز .

٣- النحت الاسمي : هو أن ينحت من كلمتين اسما نحو : جلمود (من جلد وجمد) حَبْقر (من حب وقرّ) عقابيل (من عقبىَ وعلّة) .

٤- النحت الوصفي : ينحت من كلمتين كلمة تدل على صفة بمعناها نحو : ضبطر للرجل الشديد (من ضبط وطر) وصهصلق (من الصهيل والصلق الصوت الشديد).

---

(١) المباحث اللغوية في العراق : ٩٩ — ١٠١ .

(٢) ينظر : كتاب الاشتقاق عبد الله أمين : ٢١ — ٢٣ .

والنوعان الثالث والرابع قليلة في العربية لكن ابن فارس اتسع في ذلك .

٤ـ التعريب والترجمة :

وهي الوسيلة الرابعة لتنمية اللغة وسدّ حاجاتها من المصطلح .

فالتعريب : أخذ كلمة غير عربية وإحداث بعض التغيير فيها بحسب ما يقتضيه النطق العربي وصبّ الكلمة في قالب عربي .

أما الترجمة فهي وضع كلمة عربية مقابل الكلمة الأجنبية لتؤدي المعنى .

وهذه الظاهرة اللغوية من الاقتراض المعجمي ووضع الكلمات المقابلة في الاستعمال معروفة قديما كما صارت حاجة ملحة في العصر الحديث . فقد دخلت العربية كلمات عربّتها واستعملتها من لغات أخرى كالفارسية واليونانية والسنسكريتية منذ العصر الجاهلي، وما استعمل في القرآن الكريم من المعرب فهو من هذا القبيل ، وعربّت كلمات كثيرة من الاحتكاك اللغوي . يقابل هذا دخول ألفاظ عربية إلى اللغات الأوربية عندما نقل التراث العربي العلمي إلى أوربا .

لقد درس اللغويون العرب قضية المعرّب وذكروه في مصنفاتهم . ففي كتاب سيبويه أبواب تناولت ما يغيره العرب من

الحروف الأعجمية وما تتخذه الألفاظ المعربة من أوزان[1]. وعرف الجوهري تعريب الأعجمي بـ ((أن تتفوّه به العرب على منهاجها))[2]، وعرف السيوطي المعرب بأنه " ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها "[3].

وقد اهتم اللغويون العرب في العصر الحديث بقضية التعريب والترجمة لمواجهة سيل الكلمات والأسماء التي واجهتها العربية من الحضارة الغربية منذ القرن التاسع عشر ، وقد ناقش مجمع اللغة العربية في القاهرة هذه القضية وكذا مجمع دمشق والعراق وأصدرت قرارات بإجازة استعمال الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم[4]، واستمر الحوار في حدود التعريب والأخذ به أو بالوسائل الأخرى ، وكان التأكيد على فائدة التعريب للمصطلحات العلمية والفنية والتوسع فيه وإشاعتها بين الناطقين بالعربية " فمعرفة نصوصها تمكن الباحثين من معرفة

(١) ينظر : الكتاب : ٣ / ٢٢٦ – ٢٣٤ ، ٢٥٩ – ٦٢٠ ، ٤ / ٢٠٣ .

(٢) الصحاح (عرب) .

(٣) المزهر : ١ / ٢٦٨ .

(٤) مجموع القرارات العلمية ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٦٣ .

سماتها الحقيقة معرفة دقيقة لا لبس فيها ولا إبهام " [1]، وكانت " الضرورة " في إجازة التعريب بقرار مجمع اللغة بالقاهرة موضع خلاف بين اللغويين ، فمنهم من يضيقها خشية من فتح باب التعريب وتفشي الأعجمية وغلبتها على العربي ، ومنهم من يتسع بها فيما تحتاج إليه العربية في هذا العصر ، وكان الدكتور مصطفى جواد في المجمع العراقي يرى جواز التعريب كما جاء في مقرارات المجمع اللغوي السابق لكنه كان مع من يجيز الاشتقاق من المعرب أيضا كما جوّز الفصحاء القدماء قائلاً : فإذا كان من الاشتقاق من الاسم الأعجمي فائدة فلا بأس [2].

ولما كان التعريب في الحضارة الإسلامية ممهداً للترجمة ، فقد فكر اللغويون المعاصرون في أن التعريب أحيانا يكون عن طريق الاقتراض مفضلاً في كثير من المصطلحات العلمية والطبية والأدوية خصوصاً إذا كان المصطلح عالمياً متداولاً [3].

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث ، عباس حسن : ٢٣٤ .

(٢) مباحث في سلامة اللغة العربية رقم (١) ٢٣٤ .

(٣) ينظر : مؤتمر الدورة الأربعين لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، ص ٢٦ ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ١٥٤ — ١٥٥ .

كما اتخذ المجمعيون قراراً باستعمال الكلمة الأجنبية والى جانبها ترجمتها على سبيل التوضيح مثل مصطلح (الهيدرولوجيا) وترجمتها (مياهيات) والمكر سكوب وتعريبها المجهر ، المجهار، ومصطلح المورفولوجي في علوم الاحياء وغيرها .

وهناك مصطلحات شاعت واستعملتها العربية على سبيل الاقتراض بعد أن حدث فيها بعض التغيير مثل القرصان والقرصنة عن الايطالية ، وورشة عن الانجليزية ، وقد وضعت لها عدة مقابلات : مشغل ، محترف ، مرسم ، معمل ، ولكنها كلها غير مرادفة لكلمة ورشة . وقُمرة وتعني الغرفة أو المقصورة ، وكلمة (دبلوماسي) وهي مشتقة من اللغات الأوربية من كلمة Diploma بمعنى وثيقة [١].

وناقش المجمعيون في مجمع القاهرة المصطلحات الفنية والمذاهب الأدبية ووصلوا إلى وضع كلمات فصيحة بدلا من المعربة فيما جاء من القديم كتعريب (قوميدية) و (تراغوديه) فوضعوا كلمات فصيحة مثل الملهاة والمأسات بدلاً منها ، كما

---

(١) ينظر : الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ١٥٢ – ١٥٨ .

أخذوا بوسيلة التعريب والترجمة معا في كثير من الكلمات التي لا تفي العربية بما تدل عليه الأجنبية بالضبط مثل .

المسلاة ، الملهاة – الكوميدية

المأساة – التراجيدية

التمثيلية – الدرامة

تمثيلية غنائية – اوبرا

غنائية هزلية – أو بريت

وفي المذاهب الأدبية الحديثة :

اتباعي – كلاسيكي أو كلاسي

ابتداعي – رومانتيكي أو رومانتي [١].

المشكلة القائمة في مجال التعريب والتي تشير إلى تقصير المؤسسات اللغوية وتعطيلها من جهة وانعدام التخطيط من جهة أخرى ، تتعلق في وقت وضع المصطلح وعدم اتخاذ الوسائل الفعالة لإشاعته قبل أن يشيع على ألسن الناس والدارسين ، فنجد أسماء الآلات والمستحدثات الأجنبية أو المصطلحات العلمية أو الأدبية تقترح لها مقابلات بعد شيوعها وما يقترح من مقابلات

(١) ينظر : م . ن : ١٥٠ – ١٥٢ .

تكون أحياناً متعددة أو لا تفي بالغرض فتحدث البلبلة والتندر أحياناً ببعضها الآخر من تلك السماء على سبيل التمثيل :

المرناة للتلفزيون ، والخيالة للسينما ، الطارمة للكشك والمذياع للراديو والهاتف للتلفون وغيرها ... وقد وضعت بعد شيوع أسمائها الأجنبية ، ومما يحمد أن جملة من المصطلحات وضعت وأخذت تستقر على الألسن وتطرد الأجنبي مثل السيارة بدلا من الاتوبيل أو الكار ، ومثل الدراجة بدلا من البايسكل .

ومشكلة أخرى هي عدم اتفاق المجامع والمؤسسات اللغوية على توحيد المصطلحات الموضوعة لاستعمالها في الأقطار العربية وهذه المشكلة تجعل استعمال الاسم الأجنبي أقرب إلى الفهم من استعمال المصطلح العربي .

إن ما أصاب الأمة من تردٍّ في نظامها الرسمي وانزلاق أنظمتها عن طريق خدمة هوية الأمة اللغوية والحضارية . إلى طريق العولمة لخدمة المصالح الأجنبية ، فأخذت اليد الأجنبية تلعب بها كما تشاء لتفتيت هذه الأمة المنكوبة بأنظمتها الخاضعة خضوع العبيد حفاظاً على كراس من وهمهم ، وفي لحظة زمن من وعده تعالى

تتدحرج ومن عليها يحمل على (سدية) نحو المحكمة أو نحو المقصلة :[وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] [1].

إنّ قضية المصطلح اللغوي ينبغي لها أن **لا** تخضع لرؤية فردية أو حزبية ، أو قطرية ، والخلافات في توحيد المصطلح أو صلت المناقشات في الاجتماعات اللغوية أحياناً إلى درجة تفضيل مناقشة البحوث العربية في ندوات بغير العربية تجنبا للخلاف والجدل في الدعوى إلى تعديل المصطلحات الثابتة .

(١) سورة البقرة : ١٠٢ .

في العربية إما كان وضعه متأخرا أإو انّ مصطلحه لم يكن موحدا. فكل بلد يضع مصطلحا خاصا به فوحدة المصطلح مفقودة وهي مهمة للحفاظ على وحدة اللغة كما كما اختلفو في مصطلح (علم اللغة واللسانيات والالسنية وعلم اللسان) وربما يكون من جهل المترجمين للعربية، فلم يحسنوا وضع المقابل من الاسماء المترجمة.

لقد عني الدكتور مصطفى جواد بذلك قائلا : ″ان شيوع الاسماء الغربية من المصطلحات لا يعني عجز اللغة العربية بل تهاون ابنائها وتقصير علمائها وضعف المترجمين في نقلهم واستهانة الدخلاء عليها بوجودها وافتخارهم بمعرفة اللغات الغربية″، وعانت العربية هذا الأمر وما زالت تعاني خصوصا في تعريب العلوم وتدريسها باللغة العربية في جامعاتها.

كان الدكتور مصطفى جواد يؤمن باجتماعية اللغة وتطورها وبالاجتهاد بوضع الصطلحات والالفاظ وان اللغة ″لم تبق وقفا على

الاشتقاق والتعريب والنحت ، ومعرفة هذه الطبيعة واجبة على من عني بها ووكل اليه الحفاظ على سلامتها"[١]

وقد قال : "ان القدماء لم يسدوا باب المجاز ... فأهل هذا العصر يحق لهم استعمال عدد من الكلم على سبيل المجاز ويحق لهم الاتساع في التعبير على شرط أن لا يؤدي الى المسخ والتغيير"[٢]

إن هذا الشرط في قوله الأخير "أن لا يؤدي الى المسخ والتغيير "جعل له موقفين في كثير من الاحيان :

الأول : إبداعه في وضع المصطلح وقبوله اذا كان موافقا لما اختزنته حافظته من أصول الالفاظ واستعمالاتها في اطوار مختلفة من التاريخ . وموقفه هنا يريد به أن لا يتناقض معناها الجديد ومعناها القديم أوله علاقة به .

(١) بحث في سلامة اللغة العربية ، د.مصطفى جواد رقم ٢ مجلة المجمع العلمي العراقي م الثاني ١٩٥٢ ص٢١٥ .

(٢) السابق ٢١٥ وهذا أيضا موقف مجمع اللغة في القاهرة في اقراره جواز السماع من المحدثين تاييدا لما قدمه أحمد حسن الزيات انظر مجلة الرسالة المصرية عدد٩٣٢ص ٥٦٠ .

وقد جعله هذا من نوادر اللغويين الحفاظ العارفين بطبيعة اللغة وباطلاعه واستقرائه استعمال المفردات في مختلف عصورها ، وهذا جعله منسجما مع ما يعتقده من وسائل تنمية اللغة وأولها الاشتقاق ، فطبيعة اللغة العربية انها لغة اشتقاقية . وكان يتخذ من القرآن الكريم المصدر الأول والأفضل لاتباعه والقياس على استعمالاته وبعد القرآن ما يثق بفصاحته من كلام العرب من النثر والشعر .

وهو يرى أن اللغوي الذي يوكل اليه الحفاظ على سلامة اللغة ينبغي له أن يعرف هذه الخصيصة في اللغة وإلا وقع في الاختلاط الذي قد يشوه اللغة فالمصطلح الجديد أو الكلمة يرجع بها الى العربية فاذا كانت مستعملة وأهملت أجاز قبولها أو يمكن اشتقاقها على وفق الصيغ العربية وإلّا كان ردّ قول من قبلها.

قال : "جواز الرجوع الى الكلمات القديمة المهملة من المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية الحديثة مع بعض التصرف أو الاشتقاق إن دعت الحاجة الى أحدهما"(١)

(١) مبحث سلامة اللغة العربية (٢) ص٢٠٥ .

هذه قاعدته في قبول الجديد أو رده ، وبهذا جاء اقتراحه لكثير من المصطلحات وقبوله لكثير من الكلمات المقترحة من اللغويين والمجمعيين كاقتراحه مصطلح "دائرة المعارف" مقابل الاسم الاجنبي "نسكلو بيديا" وعدم قبوله اقتراح الكرملي "معلمة" . فالدائرة قد استعملها كبار المسلمين للعلوم ، ومن الشواهد التي ذكرها قول شمس الدين الذهبي في ترجمة أبي الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ): " ومع تبحر ابن الجوزي في العلوم وكثرة اطلاعه وسعة "دائرته" لم يكن مبرزا في علم من العلوم وذلك شان كل من فرّق نفسه في بحر العلوم " كما ذكر كلاما لابن رجب قد استعمل الدائرة في العلوم [١]

واقتراحه على مجمع اللغة في القاهرة باجازته مصطلح "عضوة" بتاء التأنيث لمشاركتها الواسعة في النشاط الاجتماعي والادبي والعلمي يطابق الموصوف صفته وسرد مجموعة حجج واستعمالات قديمة تسوغ هذا المصطلح بدلا من ابقائه على التذكير ، وهو ترجمة للغة الانجليزية membre ويراد به واحد وواحدة، وأقدم الحجج مجيء كلمة "شلوة" في قول الرسول عليه

(١) المباحث اللغوية في العراق ٦٧ .

الصلاة والسلام لأبيّ بن كعب وقد أعطاه الطفيل بن عمرو الدوسي قوسا جزاء على إقرائه القرآن :"تقلدها شلوة من جهنم" والشلو العضو فأنثها على معنى تأنيث القوس[1]

ووضعه مصطلح "القلاب" لمرض القلب قياسا على دلالة صيغة "فُعال" كالصداع والدوار .

هذا مبدؤه في الاشتقاق ووضع المصطلح وقبول الجديد . فالفعل (تنازل) المستعمل لدى أهل العصر بمعنى تخلى وترك ، اعترض على قبوله أول الأمر ، لأن دلالته المعجمية : تنازل القوم نزلوا عن إبلهم الى خيلهم للقتال أو نزلوا الى ساحة القتال ، فالفعل لا يدل على الاشتراك بين اثنين أو أكثر ، لكنه وجد الفعل مستعملا في شرح قصيدة ابن عبدون لعبد الملك بن بدرون مستعملا بمعنى "تخلّى وترك وخلع نفسه" فقبله قائلا : ثم بان لي أنه مولّد مستعمل في لغة أدباء من الاندلس لا يستهان بهم .

كذلك الفعل (استلم) بمعنى أخذ وتناول في استعمال أهل العصر قد خطّأه أسعد داغر متذرعا بأن أصل استعماله بمعنى

(١) مبحث في سلامة اللغة العربية رقم (٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ م٣ ١٩٥٤ ص١١٥، ١١٦ .

اللمس والتقبيل والصواب تسلّم [١] ، لكن الدكتور مصطفى جواد صوّب الاستعمال المعاصر للفعل إذ وجده مستعملاً عند أدباء الأندلس منذ المئة السادسة من الهجرة ، وجعله محمولا على المجاز المفتوح الباب في لغة العرب ، فنقل معنى الملامسة إلى المباضعة والمضاجعة والتسلم والاستلام يجمع بينهما اللمس ، فيستعار الاستلام للتسلم [٢] .

كان يرى أن للكلمة العربية قيمتين دائما : قيمة معجمية وهي قيمة جامدة لا حياة فيها ربما تؤدي الى سوء فهمها ، وقيمة استعمالية وهي القيمة القابلة للطور ، لأنها تؤخذ لها من صميم كلام العرب أوكتبهم على تعاقب الازمان واختلاف البلدان [٣]

هكذا كان قبوله أو وضعه المصطلح أو الكلمة ، فالمولد مقبول ما وافق العربية اشتقاقا واستعمالا .

(١) ينظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٣٠ ، وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها مصطفى جواد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٢ ج١ ص١٤٨،١٤٧.

(٢) ينظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٣٠ ، وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها مصطفى جواد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٢ ج١ ص١٤٨،١٤٧.

(٣) وسائل النهوض باللغة العربية .. ١٤٦ .

٢ـ رده ما لم يوافق مبدأ الاشتقاق والاستعمال على سبيل الاتساع والمجاز.

فقد رد تخطئة إبراهيم اليازجي من قال :"هذا أمر يأنفه الكريم، والصواب يأنف منه الكريم "[١]

وقد صوبه الدكتو مصطفى جواد ، لأن صيغة (فَعِل) يجوز تعديتها لغير العيوب والعاهات الظاهرة ، بنفسه وبحرف الجر ، مثل أمِنَ منه وأمنه وخاف منه وخافه...وأنف منه وأنفه وسرد مجموعة من الشواهد من قديم الشعر ومولّده ومتأخره تثبت استعمالا (أنف) متعديا بنفسه . فاتفق السماع والقياس ، وقد عد حذف حرف الجر من الايجاز البلاغي [٢] .

وبهذا المقياس كان رده وتصويبه كثيرا مما استعمله الكرملي في كلامه في هوامش كتاب المباحث اللغوية ، كما رد تخطئة جملة من المصطلحات التي تضمنها مجلدات مجلة "لغة العرب" ومجموعاتها السنوية .

(١) انظر لغة الجرائد لليازجي ٢٦ ط القاهرة ، المباحث اللغوية ٤٦، ٤٧ .

(٢) المباحث اللغوية ٤٦ ، ٤٧ كما خطأ أسعد داغر لمتابعته اليازجي بتخطئة الاستعمال .

من ذلك تخطئة الكرملي جرجي زيدان في قوله :"وقد تعاصر البابليون والمصريون" قائلا : والأصح : وقد عاصر البابليون المصريين لأن (كذا) [1] لا وجود للتفاعل في مادة (ع ص ر) ... أراد أن يقول : فلا وجود .

قال مصطفى جواد : من البديهي أن المفاعلة للمشاركة تؤدي في الغالب الى التفاعل" وصوب كلام جرجي زيدان مستشهدا بمجموعة من الشواهد من النثر لأدباء ومؤرخين منذ العصور الاسلامية القديمة ثم قال معلقا : أن الأب المذكور كان أعلم بالمصطلحات العلمية والفنية منه بالنحو والصرف العربيين."[2]
وبهذا المقياس أيضا كان قبوله أو رده لواحد وخمسين كلمة من مصطلحات أهل العصر قدمها الاستاذ أحمد حسن الزيات الى مجمع الغة العربية بمصر ، فما وافق مبدأه في الاشتقاق وموافقة المصطلح الصيغ العربية واستعمالاتها قبله وما لم يوافق رده واقتراح مقابلا له . أذكر بعضها :

(١) كان من عادته أن يضع (كذا) الى جانب كل تعبير لا يراه فصيحا ، وهنا صوب التعبير بقوله : أراد أن يقول : فلا وجود .
(٢) المباحث اللغوية ٥٩ ، ٦٠ والأب المذكور هو الكرملي .

(دخان ودخّن) "فالدخان" يدل على التبغ و"دخّن" على احترافه من قبيل المجاز المرسل ، وذكر مجموعة شواهد من الشعر والنثر تناقض معناها الشائع ، ثم قال الصواب أن يشتق فعل جديد لهذا الضرب من استعمال الدخان على صيغة "افتعل افتعالا" أي ادخن ادخانا بمعنى اتخذ دخانا وكذا مصطلح (التاميم) بمعنى التملك اقترح لها مصطلح "التأمم"أي تسليط الأمة على الشيء [(١)]

لقد كان كثير النقد على اللغويين خصوصا في سهوهم وتعجلهم الأحكام من دون خبرة في معرفة أساليب العربية وأصول المفردات والاستعمال ثم في عدم انتباههم لما تؤديه الصيغ الصرفية من دلالات يمكن استغلالها في ايجاد المصطلح الجديد لقبول أو رفض الاستعمال المعاصر.

لقد كان الاشتقاق عنده أكثر الوسائل فائدة لنمو اللغة وايجاد المصطلحات للمسميات الجديدة لحل مشكلة المصطلحات المحتاج اليها حديثنا "فالعلم بالاشتقاق والاستفادة منه أمران ضروريان في التحقيق الاصطلاحي " على شرط أن تستفيد المجامع والمؤسسات العلمية منه كما ينبغي له ، لكن المجامع اللغوية لم

---

(١) انظر تفصيل ذلك في مبحث سلامة الغة العربية رقم٢ ،٣ مجلة المجمع العلمي العراقي م٢ ١٩٥٢ ، م٣ ج١ ١٩٥٤ .

تستطع أن تستفيد منه استفادة تامة واقتصرت على إقرار قواعد اشتقاقية أكثرها بديهية"[1] ثم سرد مجموعة من الصيغ التي يمكن الاستفادة منها في مئات من اسماء الالات والادوات فيما يسمى في اللغة تعدد الدلالة للصيغة الواحدة مثل "فِعال" ومؤنثه "فِعالة" فهو أقدم في العربية زمانا من صيغة "مِفْعل" ومؤنثه "مِفْعلة" وأكثر استعمالا وأخف لفظا وأرشق صيغة ، واتخذ من القرآن شاهدا على ذلك من قوله تعالى :﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ الأعراف: ٤٠ ولم يستعمل المخيط مع وجوده في اللغة.

وكذا صيغة "فاعل" و "فعّال" المعروف أنه من صيغ المبالغة وما يستخرج منهما من اسماء الالات والادوات ثم تحويل صيغة "فاعل" الى "فاعل" بفتح العين للافادة منه في الالات والادوات كالخاتَم والطابَع ..

هكذا أخذ يسرد الصيغ التي يمكن الاستفادة منها في وضع المصطلح والاسم للدلالة الجديدة التي يحتاج اليها المجتمع .

لقد أثنى على مساعي المجمع اللغوي المصري وما له من فضل في جهوده ومساعيه اللغوية خصوصا في وضع المصطلح

(١) ينظر :

وتمحيص القواعد واصلاح العبارة لعصرية وتقويمها بطرائق علمية قائلا :"ولم يفته في ذلك إلّا القليل"[1]

وذكر أمثلة من مصطلحات البناء لم يضع لها المجمع مقابلا وهو في العربية: "الحضرة" قال الزمخشري في أساس البلاغة : وجمع فلان الحضرة يريد بناء الدار ، وهي عُدّة البناء من الآجر والجص وغيرها .

كما ذكر استعمال المجمع "السائل" مكان "المائع" والسوائل مكان المائعات مع أن العرب استعملت المائع وجمعه السالم . وكانت بديهته حاضرة في ذكر الشواهد القديمة في استعمالها.

إن موقفه في علاج مشكلة المصطلح في عصرنا يتمثل في الآتي :

جواز الرجوع الى كلمات عربية قديمة غير مستعملة أوكلمات قديمة منقولة بطريق المجاز والاتساع مع بعض التصرف.

الاشتقاق بحسب طرق الاشتقاق في العربية والتوسع في مصادر اللغة والاستشهاد منها.

---

(١) وسائل النهوض باللغة العربية ...مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٣٢ ج١ ص١٢٩ .

ترجيح الفعل الثلاثي على الرباعي من الافعال اذا كانا في معنى واحد ، لأن الثلاثي أفصح وأقدم .

باب المجاز مفتوح في العربية بشرط أن لا يتدافع المعنيان الحقيقي والمجازي .

ولهذا لم يجوز استعمال الفعل "هدف الى الشيء" بمعنى قصد اليه كما يستعمله أهل العصر[١] .

قال : الفعل (هدف) في عامة معانيه يفيد "الوصول والدخول" وقول الناس هدف اليه ، بمعنى قصد اليه يدافع ذلك المعنى . فالمعنى الاول انتهاء والمعنى الثاني شروع فاستعماله بالمعنى الجديد غلط، لأنه كاستعمال "وصل" بمعنى"ذهب" وهو من ضرب التغيير الذي يؤدي الى تسوية اللغة ، ويورث الالتباس في قراءة الكتب العربية ، ويقلب المعاني في أذهان الدارسين، ولا يجوز التفريط في اللغة والاستهانة بها بدعوى ان هذه المصطلحات جديدة وان اللغة قديمة ولاسيما ان اللغة العربية هي أوسع اللغات الحية اشتقاقا وارخاها نطاقا [٢]

---

(١) هذا من الكلمات الواحدة والخمسين التي قدمها أحمد حسن الزيات الى المجمع اللغوي المصري وقد مر ذكرها .

(٢) مبحث في سلامة اللغة العربية رقم ٢ ص٢١٦، ١١٧ .

واما استهدف بمعنى جعله هدفا أو طلب أن يكـون هـدفا فقـد سمع في كلام العرب الفصحاء وجاز في القياس، وذكر له شـواهد قديمة فصيحة .

وكذا الفعل "فشل" يستعمله المحدثون بمعنى خاب لم يجوزه. فالفعل "فشل" لا يقوم مقام "خاب وأخفق" ولو مجازا ، لأنـه بمعنـى كسـل وضـعف وتراخـى يـدل علـى عـدم مباشـرة العمـل أو عـدم الاسـتمرار عليـه مـع أن الخيبـة والاخفـاق مباشـرة للعمـل بـاءت بالخسران ، وتكون الخيبة أحيانا بعد تمام العمل ، ثم ذكر الشواهد عليه من الكلام الفصيح [١].

فواضع المصـطلح والنـاظر فـي استعمال المعاصـرين اللغـوي ينبغي له ان يكون عارفا فـي تـاريخ الكلـم العربـي وأطـواره مطلعـا على مختلف الكتابات في العربية زيـادة علـى مـا هـو مـذكور مـن شروحها في المعجمات اللغوية [٢].

ج. التعريب والترجمة:

كان الدكتور مصطفى جواد يعد التعريب الوسـيلة الثـاني مـن وسائل تنمية العربية بعد الاشتقاق، لسد حاجتهـا مـن المصـطلحات

(١) السابق ٢٢٥ .

(٢) انظر البحوث الغوية ٤٣ .

العلميـة والفنيـة، وحاجـة العربيـة شـديدة فـي هـذا العصـر الـى المصطلحات العلمية والفنية .

التعريب في الأصل أخذ الكلمة غير العربية وإحداث بعض التغيير اللفظي فيها بحسب ما يقتضيه النطق العربي من قلب أو تغيير وصب الكلمة المستعارة في قالب عربي وكان يرى في القرآن كلمات معرّبة ، فان " الكلمة وان كان أصلها من لغة أخرى فانها إذا عُرِبّتْ في العربية واستعملها أهلها فقد صارت عربية كسائر ما تتخاطب عليه العرب من كلامها ، لذلك جاز أن يخاطب الله بها العرب "(١)

لقد أجاز المجمع اللغوي المصري التعريب في قراراته الأولى بقوله : " يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم " وكانت هذه الضرورة هي موضع الخلاف بين اللغويين فمنهم من يضّيقها ومنهم من يتسع بها وكان المحافظون يخشون فتح باب التعريب على اللغة من تفشي الأعجمية في الكلام وغلبتها على العربية لغة القرآن الكريم .

---

(١) هذا جواب صاحب كتاب "المباني لنظم المعاني في علوم القرآن ص١٢٤ من سأله كيف يجوز أن يكون في لغة القرآن غير لغة العربي ؟ انظر المباحث اللغوية ١٠٤ .

كان الدكتور مصطفى جواد يرى جواز التعريب كما جاء في قرار المجمع اللغوي ورد على الكاتب الذي احتج على اجازة التعريب مقالته :" ان العلماء أجمعوا على أن التعريب سماعي لا يقاس " مظهرا خشيته على العربية من أن تنقرض ويستغلق القرآن ويبدو كل ما "دوّن" باللسان العربي من العلوم والاداب بعيداً. رد الدكتور قول هذا المحتج قائلا :"في ذلك شيء من المبالغة فالكاتب نفسه استعمل الفعل "دوّن" وهو مشتق من الديوان الكلمة الفارسية وقد استعملت كلمة الديوان في اللغة العربية حقيقة ومجازا ...واشتق منه فعل هو (دون يدون تدوينا) وصار الاسم والفعل من كلام العرب "

كان يرى وجوب التعريب وإباحته لنقل الاسماء الاعجمية الى العربية بسبب ان العربي يصعب عليه التلفظ بالكلمة الأعجمية على صورتها الأصلية ، ولكن التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدودا مشروطا بالاضطرار . فأسماء الاعلام واللباس والشراب والطعام والاثاث ويلحق بباب الاعلام اسماء الامراض الجديدة والادوية الجديدة واسماء الحيوانات التي لم يعرفها العرب واسماء كل ما لم يعرفه العرب من الماديات الساذجة أي الخام والأسماء الخفيفة أصلا ، وذكر أمثلة منها تعريب كلمة terme الفرنسية

ويقابلها "الاجل" في العربية وقد عربت في عصر الحروب الصليبية في المئة السادسة من الهجرة [1] وجعل ذلك من تساهلهم في التعريب لما يخف على اللسان .

لقد كان يرى فيمن يقوم على تعريب المصطلح العلمي والفني أن يعتمد على المعرفة بلغات الحضارة الجديدة كالانجليزية والفرنسية والالمانية مع اتقان اللغة العربية الفصيحة "وان أكثر من أحدثوا الغلط الشائع في لغتنا العصرية كانوا من النقلة أعني التراجمة ومن الذين ساعدوهم على وجدان مفاريد العربية المقابلة لمفاريد اللغات الغربية على ما وهموا اليه وتحققوا بمعرفته ، ومن الحق علينا أن نعترف بصعوبة اتفاق لغتين اتفاقا مستويا بحيث يستطيع متقنهما أن يؤدي إحداهما بالاخرى حق الاداء "[2] ثم أنحى على النقلة وتخلفهم في العربية واتقانهم اللغة العربية باللوم ، لأن ترجمتهم كانت مسخا من المسوخ أو ضربا من التدليس والتزوير"

(١) انظر مبحث وسائل النهوض باللغة العربية ١٣٦، ١٣٧ ، مبحث سلامة اللغة العربية رقم (٢) ص٢٠٨ .

(٢) القول الناجع في الغلط الشائع مصطفى جواد ـ مجاة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٤ج٣ص٣٩٦،٣٩٥ .

كانـت للـدكتور مصـطفى جـواد ملاحظـات فـي التعريـب . ذكرت أنه أوجب أن يكون التعريب واضح المعالم ، فأعلام الـبلاد وأعلام الرجال ليس في تعريبها جدال ، أما الأشياء الاخـرى فينظـر في تعريبها مقدار الفائدة ، وهذا لا يوجب إباحة التعريب ، فالعـالم باللغة الاجنبية لا يحتاج الى تعريـب الاسـم لأنـه يقـرؤه بلفظـه فـي مظانه ، والجاهل للغة الاجنبية لا تغنيه التسمية دون موضـوع العلـم أو الفن ...أما المصطلحات الغربية ففي ترجمتهـا فائـدة لغيـر العـالم باللغة الغربية لما بين الاسـم العربـي ومـا اصـطلح لـه مـن صـلة فـي المعنـى واللفـظ وهـذه الفائـدة لا تحصـل ببقـاء المصـطلح بلفظـه الاجنبي ، وضرب مثلا بمصطلح "البنج" وقد سمي مـا يقـوم مقامـه في أزمان كثيرة "المُرْقِد" "والمرقد يوحي معناه الى قارئه أو سـامعه قبل أن يطلع على تعريفه ووصفه ، لأنه مأخوذ من الرقود وهو النوم "[١] فهو لا يرى فتح باب التعريب فتحا كاملا وانما يفتح لما يحقـق الفائدة ليكون كثير من الكلمات العلميـة أميـة أو شـبه أميـة ممـا يخفف على طالب العلم شيئا كثيـرا عنـد مراجعتـه الكلمـة العلميـة

(١) مبحث في سلامة اللغة العربية رقم (٢) ص٢٠٩ ، ٢١٠ .

كما يعد الذين يميلون الى اللغات الاجنبية حربا للغة العربية ، ويكفي أن يكون الاسم الاجنبي في كتب العلم المترجمة والكلام.

لقد تطور اللسان العربي في الأزمنة المتأخرة فأصبح من السهل النطق بحروف اجنبية كان النطق بها صعبا عسيرا عليه ، لاختلاط العرب بالامم الاجنبية وألفتهم لغتهم ، فالاصوات الاجنبية والحركات المولدة تفيد العربي في نطقه بالأسماء المعربة ، ويقتضي الحفاظ على صورة المعربات اللفظية ما أمكننا ذلك .

وقد أجاز الاشتقاق من المعربات واستغرب قول أبي بكر بن السراج في منع الاشتقاق في استعمال المعربات ورآها من باب المبالغة ، وقد استشهد بكلام الامام علي بن أبي طالب نقلاً عن القاموس للفيروزبادي في قوله : ((والنيروز أول يوم من السنة معرب نوروز ، قدّم إلى علي بن أبي طالب شيء من الحلوى فسأل عنه فقالوا : للنيروز ، فقال ((نيرزونا كل يوم)) وفي المهرجان قال : ((مهرجونا كل يوم)) والسبب في ذلك أن النيروز والمهرجان لما دخلا في العربية واستعملا في صدر الاسلام استلزما اشتقاق فعلين لهما فسبق الامام غيره إلى اشتقاقهما ، ولم ينكر عليه أحد ذلك الاشتقاق ، لأنّه جرى على طبيعة العربية فمعنى ((نيرزونا ومهرجونا قدّموا لنا حلوى النيروز والمهرجان ..كما قالت العرب : ((زوّدونا

وعسّلونا وتمّرونا أي أعطونا زاداً وعسلاً وتمراً . ((فإذا كان في الاشتقاق من الاسم الأعجمي فائدة فلا بأس باتيانه))[1]

وقد لام الذين عرّبوا الفسيولوجي والسيكولوجي بـ(الفسلجة والسكلجة) ولم يجرؤ على اشتقاق ((فسلج يفسلج وسكلج يسكلج))

وإلى هذا ذهب انستاس الكرملي أيضاً ، قبول الألفاظ المعربة والمنحوتة الغربية الأصل الاشتقاق منها ، مثل : تلفن من تلفون ونورز من نوروز ، ولكن بشرطين : أحدهما : أن تكون الألفاظ خفيفة النطق والصيغة .

الثاني أن تكون مادتها تشبه المادة العربية وإلا فإنك لا تقول فوطغرف يفوطغرفُ ، اشتقاقا من الاسم الغربي المنحوت ((فوطغراف))[2]

(١) انظر : مبحث في سلامة اللغة العربية رقم (١) ٢٣٤ ، ٢٣٥ مجلة المجمع العلمي العراقي السنة الأولى في ١٩٥٠ وانظر القاموس المحيط (فرز) ، كتاب الفيروز لاحمد بن فارس (في ضمن نوادر المخطوطات) ٢ / ١٨ تحـ هارون .

(٢) مجلة لغة العرب م٥ نيسان ١٩٢٨ ص٢٩٣ ، المباحث اللغوية ١٠٤ ، وانظر اجازة الاشتقاق من المعرّبات الخفيفة كتاب في أصول اللغة ـ مجمع اللغة العربية بمصر ٢٥١ ، ٢٥٢ .

فالمصطلحات يجب أن تكون باللغة العربية، والتعريب يجب أن يقتصر على ما يكون فيه فائدة، وإذا كان هناك تقصير في اعداد المصطلحات فذلك راجع إلى المجامع العلمية والعلماء واللغويين لا إلى العربية ، فباب اشتقاقها جعلها أوسع اللغات وأكثرها قدرة على التسمية .

النحت:

مرّ بنا ذكر انشاء وزارة المعارف في العراق مجمعا لغويا ١٩٢٦ كانت نواته الأب انستاس الكرملي والشاعر معروف الرصافي وانتخبا أعضاء آخرين لينضموا إليهما ، ووضع هذا المجمع خطة لوضع الاصطلاحات العلمية والأدبية ولكل ما يحدّ من الكلمات وخصوصاً ما تحتاج إليه المدارس والكتب المدرسية ، وقد عُدّ النحت من وسائل وضع المصطلح ، ومنهم من جعل التوسع فيه من أهم حاجات اللغة العربية .

اعترض الكرملي على ذلك قائلاً : ((لا أرى حاجة إلى النحت لأنّ علماء العصر العباسي مع كل احتياجهم إلى ألفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية . هذا فضلاً عن أنّ العرب لم تنحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددها على ألسنتهم فكان ذلك سبباً

للنحـت أمّـا التـي لا يكثـر ترددهـا علـى ألسـنتهم فلـم يحلمـوا بنحتها))[1].

وقد رأى الدكتور مصطفى جواد صواب هذا الرأي وقد أعلن رأيه في محاضرة ألقاها في مؤتمر أدباء العرب بلبنان في بيت مرّي عند الكلام على ترجمة الطب النفسي الجسمي psychosomatic ولا يصح في هذا الاسم خشية التفريط في الاسم باضافة شيء مـن أحرفه كأن يقال : ((النفسجي)) أو ((النفسجمي)) مما يبعـد الاسـم عن أصله فيختلط بغيره ، وتـذهب الفائـدة المرتجـاة منـه ..وأود أن أشير إلى أني لا أركن إليه في المصطلحات الجديدة ، لأنّه نادر في العربية ويشوه كلمها))[2]

وقال ((وكل ما ثبت عندي منه عدة رموز جميلة مثـل سـبحل فلان أي قال سبحان الله، وحوقل ..وطلبق .. ودمعز..ولم يقولوا فـي العادة : ((اعتاد فلان السبحلة والحوقلة))فالمصدر لم يكن مراداً في استعمالهم النحت مع أنّ وضعنا للمصـطلحات يعنـي الأسـماء قبـل غيرها ، فإذا احتجنا إلى الأفعال اشتققناها من المصطلح نفسه))[3]

(١) مجلة لغة العرب مج ٤ ص٣٩ ، المباحث اللغوية ٨٨ .

(٢) المباحث اللغوية ٨٨

(٣) السابق ٨٩

لقد كان لا يرى الصعوبة في مشكلة المصطلحات قائمة في ايجادها ، فالمصطلحات رموز إلى مسمياتها وكنايات عنها ..وليس من مصطلح في كل لغة يدل على جميع ما في مسمّاها [1] ، وانما الصعوبة في توحيد المصطلح وإعمامه على الأقطار العربية متفقا على استعمالة . ومن أجل ذلك يقال في كثير من العلوم المستحدثة والفنون الجديدة : ((هذا الاسم لغة معناها كذا واصطلاحاً معناه كذا . [2]

فهو يجيز النحت لكنّه يعدّه آخر وسيلة حين تلجئ الضرورة العلمية [3] وإلى هذا ذهب الكرملي أيضاً في النحت كما مر ذكره وكذلك قال : ((ولغتنا من اللغات التي لا تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب ، كما هو مدون في مصنفاتهم والمنحوتات عندنا عشرات أما عندهم فمئات بل آلاف ..فساغ لهم النحت أمّا عندنا فاللغة تأباه وتبرأ منه)) وقبل قليل ذكرت قبوله قلة من الألفاظ المعربة أو المنحوتة والاشتقاق منها بشرطين .

(١) المباحث اللغوية ٩٤

(٢) مبحث في سلامة اللغة العربية رقم (٢) ص٢١٤

(٣) المباحث اللغوية ١٠٥ وانظر ص٩٩ ، ١٠٠

وفي هذا المعنى كان موقف مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد أصدر قراره باجازة النحت ((عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية))[1].

(١) مجلة مجمع اللغة العربية م٧ ص١٥٨ ، كتاب في أصول اللغة ـ مجمع اللغة العربية بمصر ص٤٩

المراجع

١. تـذكرة الكاتـب لأسـعد داغـر ـ م العصـرية . القـاهرة ط٢ ١٩٣٣

٢. القاموس المحيط الفيروزبادي

٣. كتاب في أصول اللغة ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة اخراج محمد خلف الله ومحمد شوقي أمين ، الهيأة العامة لشؤون المطـابع الاميرية ١٩٦٩ـ القاهرة .

٤. لسان العرب ـ ابن منظور

٥. لغة الجرائد ـ ابراهيم اليازجي ، ط١ ، القاهرة

٦. المباحث اللغوية في العراق ، د.مصـطفى جـواد ، م العـاني بغداد ١٩٦٥

٧. المجـازات النبويـة ـ الشـريف الرضـي تحــ طـه الزينـي ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٧٦

نوادر المخطوطات (١ـ كتاب النيروز لابن فـارس ٢ ـ الرسـالة النوروزية ٣ ـ ذكر ما جاء في النوروز) تحـ عبد السلام هارون .

الفهرس